مَواقِفُ الكُتَّابِ المُعاصِرينَ مِن السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّريفَةِ

دِرَاسَة تَحْلِيلِيَّة

د.أحمد وفيق السَّيِّد شاهين*

** **ملخص**

لا تزال سيرة رسول الله– صلَّى الله عليه وسلَّم– تُمَثِّلُ النموذج المثالي للحياة الإنسانية الحَقَّةِ بكل أبعادها، والمعين العَذْبَ الذي لا ينضب على مَرِّ العصور والأجيال. وقد نالت سيرة النبي– صلَّى الله عليه وسلَّم– من عناية العلماء قديمًا وحديثًا– مسلمين وغير مسلمين– ما لم تَنَلْهُ سيرة نبي ولا زعيم. وقد تَفَنَّنَ المسلمون في كتابة السيرة النبوية العطرة، والتصنيف في جزئيَّاتها أيُّما تفَنُّنٍ؛ كيف لا ! وهي سيرة أعظم رسول وأكرم الخلق على الله تعالى.

وهؤلاء الذين كتبوا في السيرة النبوية لم تكن طريقتهم واحدة؛ بل تفرقوا طرائق قددا. والملاحظ أن السيرة النبوية في عصرنا الحديث لم تكتب فيها الأقلام الإسلامية فحسب، بل كتب فيها غير المسلمين أيضًا، وكان من بين كلا الفريقين: المنصف في البحث، والمنحرف عن سواء السبيل. وهذا الاختلاف مَرَدُّهُ إلى ما يعتقده أصحاَب كل اتجَاه من آراء وأفكار.

هذا، وقَد حصرت القَضايا التي عرضت لها الكتابات المعاصرة في السيرة النبوية في بحثي هذا في ثلاثة مباحث:

أولها بعنوان: (التَّشْكِيكُ في كُتُبِ الحَديثِ والسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ).

أما ثانيها فبعنوان: (إنْكَارُ الأحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ).

أما ثالثها فهو بعنوان:(إنْكَارُ المُعْجِزَاتُ، والتَّشْكِيكُ فِيهَا، والتَّعَسُّفُ في تأويلها).

** **الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية الشريفة، اتجاهات الكتابة في السيرة النبوية الشريفة، التشكيك في السيرة النبوية الشريفة، إنكار الأحاديث النبوية الشريفة، الاتجاه التوفيقي في كتابة السيرة النبوية الشريفة .**

* مُدَرِّس بقِسْمِ اللغَةِ العَرَبِيَّةِ- كُلِّيَّة الآداب- جامِعَة المنيا.

** المُقَدِّمَـة :

تُمَثِّلُ سيرة النبي محمد بن عبد الله– صلَّى الله عليه وسلَّم– أنموذجًا مثاليًّا للحياة الإنسانية الحَقَّة بكُلِّ أبعادها، فهي كالمعين العذب الذي لا ينضب على مرِّ العصور وتعاقب الأجيال. وقد نالت سيرة النبي محمد – صلَّى الله عليه وسلَّم– من عناية العلماء قديمًا وحديثًا– مسلمين وغير مسلمين– ما لم تنله سيرة نبيٍّ ولا زعيم. وقد تفنَّنَ المسلمون في كتابة السيرة النبوية العَطِرة، وتَفَنَّنوا في التصنيف في جزئِياتها أيُّمَا تَفَنُّنٍ؛ كيف لا ! وهي سيرة أعظم، وأكرم الخلق على الله تعالى.

وهؤلاءُ الذين كتبوا في السيرة النبوية لم تكن طريقتهم واحدة؛ بل تفرقوا طَرَائِق قِدَدا. والملاحَظُ أن السيرة النبويةَ في عصرنا الحديث لم تكتب فيها الأقلام الإسلامية فحسب، بل كتب فيها غير المسلمين أيضًا، وكان من بين كلا الفريقين من أنصف في بحثه، وأخْلَصَ في طلب الحقيقة، وكان من بين هؤلاء أيضًا من ظهر حقده على الإسلام، وانحرافه عن سواء السبيل. وهذا الاختلاف يرجع إلى ما يدين به كل كاتب من عقيدة، وكذا ما يعتقده من آراءٍ وأفكار. وبُناءً على ذلك فقد تعددت النتائج التي تَوصَّلَ إليها كل كاتب في السيرة؛ تبعا للمنهج الذي انتهجه في كتاباته.

وإذا كان عموم الأقدمين قد اكتَفوا بسرد أحداث السِّيرة النبَوية، وإذا كانوا لم يهتموا بالتحليل والاستنباط– إلا قليلاً منهم– فقد كان هناك الكثير من الكُتَّابِ المعاصرين الذين قطعوا أشواطًا بعيدة في تحلِيل أحداث السِّيرة النبوية، واستنباط الدروس والعبر منها، ومناقشة الكثير من قضاياها.

والكتابة المعاصرة في السِّيرة النبوية قد توزَّعَتها اتجاهاتٌ شتَّى ومناهجٌ مختلفة؛ ولعل السبب في ذلك يرجع لاختلاف الانتماءات الدينية والفكرية لِمَنْ كتبوا في ذلك الميدان؛ فكان من تلك الكتابات ما هو أصيل، حاول مراعاة الأمانة العلمية في الكتابة، وتوثيق الخبر، وعدم التعسف في التأويل، والاستفادة من السيرة النبوية للنهوض بالمسلمين. وكان من تلك الكتابات ما هو دخيلٌ؛ اجتهد صاحبه في تسخير السِّيرة النبوِية لخدمة أهوائه واتجاهاته الفكرية أو السياسِية على اختلافها؛ ماديَّةٍ، وعَلمَانِيَّةٍ، وتَلْفِيقِيَّةٍ، وشِيعيَّةٍ.. وغيرها.

وتتناول دراستي هذه الحديث عن مواقف الكُتَّاب المعاصرين المتباينة من السِّيرة النبوية الشريفة؛ وذلك من خلال الحديث عن كتاباتهم وتناولها بالنقد والتحليل، لبيان ما يمكن اعتماده من تلك الكتابات كمصدرٍ أصيلٍ من مصادر التراث يُوثَقُ به ويُعْتَدُّ بمضمونه، وما يجب الحذر منه من تلك الكتابات.

ويجدر بالذكر القول بأن الذين اهتموا بالدفاع عن سيرة النبي- صلَّى الله عليه وسلَّم- لحمايتها من التأويلات المُغرِضَةِ، وإبطال شُبَهِ المُشَكِّكِين فيها ليسوا بالكثير ،بل هُم أفراد قلائل١، وكان المفروض أن ينال هذا الموضوع كبير اهتمام من جانب الباحثين المسلمين؛ وذلك يرجع لسببين رئيسين: أولهما: أهمية السِّيرة النبوية في بناء المجتمع الإسلامي- ومن ثَمَّ في بناء شخصية كل مسلم- وثانيهما: الهجوم المتواصل من قبل المناهج الحديثة- شرقية وغربية- على ساحة السِّيرة النبوية بتحليلاتها المُغرِضَة، والتي تشكل خطورة كبيرة على فِكْرِ الأُمَّة وثقافتها.

ومن أوفى الكتب التي اهتمت بالدفاع عن سيرة النبي- صلَّى الله عليه وسلَّم- ضد شُبَهِ المارقين من المشككين: كتاب (دِراساتٌ في السِّيرَةِ النَّبَوِيَّة)

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

لِمُؤلِّفِه (سرور بن نايف زين العابدين)؛ والذي ركَّزَ فيه على كتابات أصحَاب المناهج المنحرفة في كتابة السِّيرة النبوية. ولتوضيح منهجه في الدفاع عن سيرة النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم– فقد قَسَّمَ سرور بن نايف أصحاب تلك المناهج المنحرفة إلى ثلاثة أقسام:

* أولها: المستشرقون؛ وقد عرض سرور في هذا القسم كتاب (تاريخ الشُّعوب الإسلاميَّة) لـ (كارل بروكلمان)، وكتاب (الدَّعْوَة إلى الإسلام) لـ (أرنولد).

* ثانيها: دُعَاةُ التَّغْريبِ؛ وقد عرض سرور في هذا القِسْمِ لكتاب (دروس قرآنية) لـ (يوسف إلياس حدَّاد)، وكتاب (محمد الرسالة)، وكتاب (الرسول) لـ (نظمي لوقا)، وكذلك عرض لما كتبَه (جورجي زيدان) في كتابه (تاريخ التَّمَدُّنِ الإسلامِي)، كما عرض أيضًا لما كتبَه (طه حسين) في كُتُبِهِ: (على هامش السِّيرة)، و(الشَّيخان)، و(الفتنة الكبرى).

* ثالثها: المَدْرَسَةُ الإصلاحِيَّة؛ وقد تحدَّث سرور في هذا القِسْمِ عن موقف الإصلاحيين؛ أمثال: محمد عبده، ومصطفى الخُضري، ومحمد حسين هيكل ..وغيرهم من المعجزات. وقد كشف سرور عن مواقف هؤلاء الإصلاحيين من قضايا أخرى؛ كحديث الآحاد، والسِّحْر، ونزول القرآن.

هذا، ويمكن حصر القضايا التي عَرَضَتْ لها الكتابات المعاصرة في السِّيرة النَّبَويَّة تحت ثلاثة مباحث رئيسَة؛ وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: التَّشكِيك في كُتُبِ الحديث والسِّيرة النَّبَويَّة .

المبحث الثاني: إنْكَارُ الأحاديث الصَّحيحة .

المبحث الثالث : إنْكَارُ المعجزات، والتَّشكيك فيها، والتَّعَسُّف في تأويلها .

ولتفصيل الأمر، فسوف أقوم في الصفحات القادمة بمشيئة الله وعونه بالعرض لكل مبحَث بشيئ من التفصيل، مستخدمًا في ذلك المنهج الاستقرائي الوصفي التَّحليلِي، وذلك على النحو التَّالي :

***** المبحث الأول: التَّشكيك في كُتُبِ الحديث والسِّيرة النَّبَويَّة :**

يتذرَّع أصحاب مناهج التَّشكيك في كُتُبِ الحديث والسِّيرة تارةً بِكَونِ مرويات هذه الكُتُبِ تخالف القرآن الكريم، وتارةً ثانيةً يَتَذَرَّعون باختلافها حَوْلَ الحَدَثِ الواحد، وتارةً ثالثةً يَتَذَرَّعونَ بِزَعْمِ تَأَخُّرِ تدوين هذه الكُتُبِ، وتارةً رابعةً باتِّهام مُصَنِّفِيها بالكذب والتَّدليس والعَمَالة للأُمويين!.

وكان من أوائل المحُدِّثين الذين شكَّكوا في كثير من مرويات كُتُبِ السِّيرة النَّبويَّة: (محمد عَزَّة دروزة) في كتابه (سيرة الرَّسول- صلَّى الله عليه وسلَّم- صُوَرٌ مُقتَبَسَةٌ من القرآن الكريم)٢. ولعل السبب الذي دفع دروزة إلى تأليفِ ذلك الكتاب يرجع إلى الاختلاف الحاصل في مصادر السِّيرة النَّبويَّة، وذلك بحجَّة اختلاف المرويَّات حول الحدث الواحد، إضافةً إلى كون كثير من مرويَّات السُّنَّة النَّبويَّة- كما ادَّعَى دروزة- تُناقِضُ النُّصوصَ القرآنيَّة، وهو الأمر الذي يَبْعُدُ بالنَّفس عن الطُّمأنينة والثِّقة بمرويات تلك المصادر. وقد مَثَّلَ دروزة لذلك بكتابي: سِيرَةُ ابن هشام، وطَبَقَاتُ ابن سعد.٣

وإن كنا نتَّفقُ مع (دروزة) في اعتبار القرآن الكريم المصدر الأوثق للسِّيرة النَّبويَّة- بحيث يُرَدُّ كُلُّ ما يعارضه مما وَرَدَ في مصادر السِّيرة الأخرى- فنحن لا نتَّفق معه في منهج التَّشكيك؛ ذلك المنهج الذي اعتمده بإطلاقٍ، وحاول به نَسْفَ مرويات السِّيرة؛ فما تَذَرَّعَ به دروزة لا يكفي للطَّعن فيها؛ إذ إن اختلافها حَوْلَ الحَدَث الواحِد، والتَّناقُضُ فيما بينها لا يعني ردها كلها؛ ففيها الصّحيح

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

والضعيف والراجح والمرجوح، وعلى ذلك نقبل الأول، ونردُّ الثَّاني وِفْقَ قواعد المُحَدِّثين. هذا إذا تَعَذَّرَ الجَمْعُ فيما بينها بوجهٍ من الوجوه. أمَّا إذا أمكن ذلك فالجَمْعُ مُقدَّمٌ على التَّرجيح كما هو معلوم عند أهل الشأن.

ولمَّا كان القرآن الكريم لم يَعرِض لِكُلِّ أحداث السِّيرة- وذلك لكونه كتابًا سماويًّا أنزله الله ليُنَظِّمَ به القواعد العامة لِخَلْقِهِ، وليس بكتاب تاريخ؛ صُنِّفَ لرصد كل الأحداث والوقائع وتفاصيلها، وهو الأمر الذي يُنْشَدُ وُجُودُهُ في كُتُبِ الحديث والسَّيرة النَّبويَّة- فإننا لوسَلَّمْنا بدعوى (دروزة) المُغْرِضَةِ لَفَقَدْنَا كثيرًا من أحداث السِّيرة النَّبويَّة الشَّريفة، وكثيرًا من تفاصيلها.

وبُنَاءً على هذا المنهج، فالأستاذ دروزة لا يُسَلِّمُ بوقوع أَذَىً بَدَنيًّا على النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- في مكة؛ بِحُجَّةِ اختلاف نصوص الرِّوايات مع وَحْدَةِ الشَّخْصِ المَعزُوإليه ارتكاب الإثم في بعضها، وعدم ذكر القرآن شيئًا- ما- يَدُلُّ على وقوع الأذى فعلاً. ويُمَثِّلُ لذلك استثناء المؤلِّف حادثة رَجْمِ وجَرحِ النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- مِنْ قِبَلِ بعض الرِّعاعِ في الطَّائف؛ فقد عَلَّلَ دروزة لذلك بأنَّ الظُّروف التي وقعت فيها الرِّحلة إلى الطَّائف، وما وقع له فيها مما يدخل في دائرة الاحتمال كثيرًا. !٤

وما الذي يمنع أن تدخل روايات إِذَايَةِ النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- الأخرى أيضًا في دائرة الاحتمال، وقد وردت بأسانيد صحيحة وتواترت رواياتها في كُتُبِ السِّيرة ؟؛ يُمَثِّلُ لذلك ما أخرجه البُخارِيُّ في صحيحه عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- حيث قال: بيْنَا النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم سَاجِدٌ، وحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ، جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أبي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ، فَقَذَفَهُ على ظَهْرِ النَّبِيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- فَلَمْ يَرْفَعْ رَأسَهُ، فجَاءَتْ فاطِمَةُ- عليها السَّلاَمُ- فأَخَذَتْهُ مِنْ

ظَهْرِهِ، ودَعَتْ على من صَنَعَ، فقال النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم:" اللهُمَّ عَلَيْكَ المَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ: أبا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ أو أُبَيَّ بن خَلَف- شُعْبَةُ الشَّاكُّ- «فَرَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، فأُلْقُوا في بِئْرٍ، غَيْرَ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَف أو أُبَيٍّ تَقَطَّعَتْ أو صَالُهُ، فَلَمْ يُلْقَ فِي البِئْرِ».".[٥]

وأخَرَجَ مُسْلِم مِنْ حَديثِ أبي هُرَيْرَة ما نَصُّه:" قال أبوجَهْلٍ: هل يُعَفِّرُ مُحَمَّد وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فقيل: نَعَمْ، فقال: واللَّاتِ والعُزَّى لئن رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأطَأَنَّ على رَقَبَتِهِ، أو لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ في التُّرَابِ، قال: فأتى رَسُولَ اللهِ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وهو يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ على رَقَبَتِهِ، قال: فما فَجِئَهُمْ مِنْهُ إلا وهو يَنْكُصُ على عَقِبَيْهِ ويَتَّقِي بيَدَيْهِ، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إنَّ بيني وبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا من نَارٍ وهولًا وأَجْنِحَةً، فقال رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «لودَنَا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ الملائكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» قال: فأنزل الله- عَزَّ وجَلَّ- لا ندري في حديث أبي هُرَيْرَةَ، أو شيءٌ بَلَغَهُ:{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى، أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى، عَبْدًا إِذَا صَلَّى، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى، أو أَمَرَ بِالتَّقْوَى، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وتَوَلَّى}[٦]- يعني أبا جهل-{أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى، كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ، كَلَّا لَا تُطِعْهُ}[٧]، زاد عُبَيْدُ الله في حديثه قال: وأمره بما أمره به. وزاد ابن عبد الأعْلَى {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ}[٨]، يعني قومه ."[٩]

وقد ختم المشركون أذاهم للنبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- بمحاولة قتله أو اخر المرحلة المكِّيَّة، مما كان سببًا في الهجرة نحوالمدينة المنوَّرة. فما الذي يمنع كون النَّبي- صلَّى الله عليه وسلَّم- قد أوذِيَ في الله، وقد أوذي مَنْ قَبْلِهِ الأنبياءُ والرُّسُلُ، بل منهم مَنْ قُتِلَ؟ والأستاذ دروزة يعلم أن قريشًا قد تَجَرَّأَت على قَتْلِ

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم – فليس غريبًا أن تَتجَرَّأ على ما هو أهون من القَتْلِ؛ وهو الأذى البَدَني؟ وهل لنا أن نُلزِمَ القرآنَ بِذِكرِ ما لَقِيَهُ النَّبيُ- صلَّى الله عليه وسلَّم- مِنْ ذلك، حتى نُسَلِّم به مُحَوِّلينَ ذلك الكتاب السماويَّ الْمُجْمَلُ في تعابيره لكتابٍ مُساو لواحدٍ من كُتُبِ التَّاريخ ؟ وهل اختلاف الرِّوايات يُبَرِّرُ الطَّعْنْ فيها وردها من أصلها ؟ أم أن المطلوب هو التَّرجيح بينها، أو الجَمْعُ إن أمكن ذلك ؟.

وقد كان من الذين اعتمدوا منهج التَّشكِيك في صِحَّةِ كثيرٍ من مرويَّاتِ كُتُبِ السِّيرةِ النَّبوِيَّةِ أيضًا: الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه (حَيَاةُ مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم)؛ وقد ارتكزت ادِّعاءاتُهُ في تشكيكه في مرويَّاتِ السِّيرةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّريفَةِ فيما سمَّاهُ بالطَّريقَةِ العِلْمِيَّةِ الحديثةِ في كتابة السِّيرة النَّبوِيَّة. وقد كان من جُمْلَةِ ما دَفَعَ هيكل لِتَبَنِّي ذلك المنهج؛ زَعْمُهُ تأخُّر تدوين كُتُبِ الحدِيث والسِّيرة النَّبويَّةِ إلى ما بعد وفاة النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- بمائة عام أو أكثر، وذلك في ظروف المنازعات السِّياسيَّة، والتي كان اختلاق الرِّوايات والأحاديث بعض وسائلها إلى الذُّيوع والغَلَبَة.١٠

ومما يُذكَرُ أن هيكل قد زَعَمَ في الكتاب- ذاته- بعد عِدَّةِ صفحات تَأخُّر كتابة الحديث والسِّيرة النَّبويَّة إلى عهد المأمون، وقد مضى قُرَابَةُ قرنين على وفاة النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- بعد شيوع الأحاديث الموضوعة بكَثْرَةٍ روَّعَت المسلمين؛ وفي ذلك يقول هيكل: "قام الجامِعون بِجَمْعِ الأحاديث، وتَولَّى كُتَّابُ السِّيرَةِ كتابتها، فقد عاش الواقديُّ وابن هِشام والمدائنيُّ، وكتبوا كُتُبَهِم أيَّام المأمون، وما كان لهم ولا لغيرهم أن يُنازِعوا الخليفة في آرائه مخافة ما يحل بهم، ولذلك لم يُطَبِّقوا بما يجب من الدِّقَّةِ هذا المقياس الذي روي عن النَّبيِّ- صلَّى

الله عليه وسلَّم- مِنْ وُجوبِ عَرْضِ ما يُرْوَى عنه على القرآن؛ فما وافق القرآن فَمِنَ الرَّسولِ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وما خالف القرآن فليس منه ."١١

ومما يُذْكَرُ أن هيكل قد تمادى في دعواه الخبيثة، تلك الدَّعوى التي من شأنها تشكيك ضِعاف القلوب والعامَّة مِنْ غَيْرِ المُدَقِّقين، بل وتشكِيك غير العرب ممن يدخلون في الإسلام وليس لديهم معرفة بكيفية انتقاء الكُتُبِ التي تَدُلُّهُم على صحيح سَيْرِ الأحدَاث والوقائع التي رَسَمَت تاريخ خير البريَّةِ- عليه الصَّلاة والسَّلام .وقد ظهر ذلك التَّمادي في اعتقاد هيكل في كَوْنِ أكثر كُتُبِ السِّيرَةِ قد أضاف إلى حياة النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- ما لا يُصَدِّقُهُ العَقْلُ، ولا حاجة له في ثُبوتِ الرِّسَالة١٢. ويرى هيكل أنه قد دُسَّ في تلك السِّيرة النَّبويَّة الشَّريفة خُرَافَاتٌ لا يسيغُهَا العَقْلُ، ولا يقبلها الذَّوْقُ١٣.

ثم إنّ مقاييس المُحَدِّثين غير كافية في نَظَرِ هيكل لَقَبولِ الحديثِ؛ فهو يَعْتَبِرُ أنّ خير مقياس يُقَاسُ به الحديثُ وتُقَاسُ به سائرُ الأنباءِ التي ذُكِرَت عن النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- ما رُويَ عن النَّبيِّ- عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ- حيث قال:"إنَّكُم سَتَخْتَلِفونَ مِنْ بَعْدِي، فما جَاءَكُمْ عَنِّي فَاعْرِضُوهُ على كِتَابِ الله، فما وافَقَهُ فَمِنِّي، وما خَالَفَهُ فلَيْسَ مِنِّي". وهذا مقياس دقيق أخذ به أئمَّةُ المسلمين منذ العصور الأولى، وما زال المُفَكِّرون يأخذون به إلى يومنا الحاضرِ١٤،ثم هو مقياسٌ يَتَّفِقُ مع قواعد النَّقد العِلْمِيِّ الحديث أدق اتِّفاق١٥.

وادِّعَاءُ هيكل بالقول بتأخُّرِ تدوين كتابة الحديث إلى ما بعد وفاة النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- بمائة عام أو أكثر، أَمْرٌ غير صحيح، ولا أساس له من الصِّحَّةِ؛ فثَمَّة نصوصٍ كثيرةٍ تُثْبِتُ كتابة الحديث على عهد الرَّسول- صلَّى الله عليه وسلَّم- كتلك التي أخرجها البُخَاريُّ في صحيحه في (كتاب العِلْم، باب

كتابة العِلْم)، وذلك إضافة إلى كتابته- صلَّى الله عليه وسلَّم- لِصَحِيفَةِ المدينة في السَّنَةِ الأولى من الهجرة، وكذا مكاتباته ومعاهداته- صلَّى الله عليه وسلَّم- المُدَوَّنة، والتي كانت بينه وبين كثير من بُطونِ العَرَبِ وطوائِفِ اليَهودِ والنَّصَارَى، وكذا مكاتباته- صلَّى الله عليه وسلَّم- إلى المُلوكِ والأُمراءِ؛ تلك المُكاتبات التي كان يدعوهم فيها إلى الدُّخولِ في الإسلام. يُضَافُ إلى ذلك كله رسائله ومكاتباته إلى عُمَّالِهِ وقَادَةِ جيشه؛ والتي كان- صلَّى الله عليه وسلَّم- يُعْلِمُهُمْ فيها بالأمور والمُستَجَدَّاتِ التي تَتَعَلَّقُ بأحكام الدِّينِ وشُؤونِ الدَّولَةِ، وقد أَرْبَتْ هذه الكُتُبُ على ثمانين ومائتي كتابٍ- كما ذكر الدكتور محمد حميد الله في كتابه (الوثائِقُ السِّياسِيَّة)١٦.

ويبدو أن هيكل لم يستطع التَّفريق بين (الكِتَابَةِ) و(الجَمْعِ) و(التَّدوينِ)؛ فكتابة الحديث كانت في عهد النبي- صلَّى الله عليه وسلَّم- أما جَمْعُهُ فكان في عهد عُمَر بن عبد العزيز، وأما تدوينه فكان في عهد المأمون. وبالبحث يتضح لنا أن أعلام الطبقة الأولى قد أَلَّفوا في السِّيرَةِ النَّبويَّة كُتُبًا- باعتبارها جزءًا من الحديث آنذاك- وذلك منذ القرن الهجري الأول؛ ومن هؤلاء: عُروة بن الزُّبير (ت:٩٤هـ)، وشرحبيل بن سعد (ت:١٠٣هـ)، وأبان بن عُثمان (ت:١٠٥هـ). وقد جاء بعد هؤلاء الثُّقات طَبَقةٌ أخرى في القرن الهجري الثاني؛ كان من أبرز أعلامها: عبد الله بن أبي بكر بن حَزْم (ت:١٠٥هـ)، وعاصم بن عُمر بن قَتَادة (ت:١٢٠هـ)، ومحمد بن شهاب الزُّهَرِي (ت:١٢٤هـ)؛ فما كَتَبَهُ هؤلاء الرُّوَّادُ الأوائل في المغازي والنُّقُولِ التي وصلتنا عنهم يُمَثِّلُ أَبْلَغَ رَدٍّ على هيكل وأمثاله ممن يَرْجُمونَ بالغيب، ويضربون بحقائق التاريخ عَرْضَ الحائط لكونها لا تتماشى مع آرائهم المنحرفة.

فدعوى هيكل هذه- إذًا- ودعوى من حذا حذوه إنما تَلَقَّفُوهَا من بعض المستشرقين الذين لم يتحَرُّوا الصِّحَّةَ في رصد الوقائع وقت وُلُوجِهِم للكتابة في سيرة خَيْرِ البَرِيَّةِ؛ فقد ظَنَّ هَؤلاء أن أول كتاب في الحديث هو كتاب (المُوطَّأ) للإمام مالك بن أنس (ت:١٧٩هـ)، وظنوا أن أول كتاب في السيرة هو كتاب (المغازي)لابن إسحاق؛ فاعتبروا العُقودَ الأولى من القرن الثاني هي بداية تدوين الأخبار والسِّيَرِ. وليس الأمر كذلك؛ فقد بدأت بواكير التدوين في عهد الرسول- صلَّى الله عليه وسلَّم- في القرن الأول الهجريِّ١٧.

أما الحديث الذي استدلَّ به هيكل؛ ذلك الذي يُرْوَى عن رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم- أنه قال: (إنَّكُم سَتَختَلِفونَ مِنْ بَعدي، فما جاءَكُمْ عني فاعرضوهُ على كِتَابِ اللهِ؛ فما وافَقَهُ فمِنِّي، وما خَالَفَهُ فَلَيْسَ مِنِّي)؛ فلم أقف عليه بهذا اللفظ. وما ساقه الإمام الشَّافعيُّ من حديث كان نصُّهُ: "مَا جَاءَكُمْ عَنْي فَاعْرِضُوُه على كِتَابِ اللهِ، فما وافَقَهُ فأنا قُلْتُهُ، وما خَالَفَهُ فَلَمْ أَقُلْهُ "١٨، فقد ردَّهُ الإمام الشَّافعيُّ- نفسه- حيث قال: "ما رَوَى هذا أحد يَثْبُتُ حَدِيثُهُ في شيءٍ صَغُرَ ولَا كَبُرَ"١٩. وقد عَلَّقَ الشيخ أحمد محمد شاكر على ذلك قائلاً: "هذا المعنى لم يَرِدْ فيه حديث صحيح ولا حَسَنٌ، بل وردت فيه ألفاظ كثيرة كلها موضوع أو بالغة الغاية في الضعف، حتى لا يصلح شيء منها للاحتجاج أو الاستشهاد. وأقرب رواية لما نقله الشَّافعيُّ رواية الطَّبرانيِّ في مُعْجَمِهِ الكبير من حديث ابن عمرو، وقد نقلها الهَيْثَمِيُّ في كتابه (مَجْمَعُ الزَّوائِدِ)، وقال: فيه أبوحاضر عبد الملك بن عبد ربه؛ وهو مُنْكَرُ الحديث"٢٠.

وهذا الحديث أخرجه الطَّبرانيُّ٢١ من وجه آخر عن ثَوْبان مرفوعًا؛ قال: "ألا إنَّ رَحَى الإسلام دَائِرَةٌ، قال: فكيف نصنع يا رسول الله ؟ قال: اعْرِضوا حديثي على الكتاب، فما وافقه فهو مِنِّي وأنا قُلتُهُ". قال الألبانِيُّ: ضعيفٌ جدًّا ٢٢.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام ابن حَزْم الأندلسي (ت:٤٥٦هـ) قد كتب في هذا المعنى فصلاً قيِّمًا في كتابه (الإحْكَامُ في أُصُولِ الأحْكَامِ)، ورَوَى بعض ألفاظ هذا الحديث المكذوب، وأبان عن عِلَلِهَا، وكاَن من جُمْلَةِ ما قاله في ذلك: "أول ما نعرض على القرآن الحديث الذي ذكرتموه، فلما عرضناه وجدنا القرآن يخالفه؛ قال الله تعالى:{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهوا}٢٣، وقال تعالى:{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا}"٢٤. وقال ابن حَزْمٍ أيضًا:" لا سبيل إلى وجود خَبَرٍ صحيح مخالفٍ لِمَا في القرآن أصلاً، وكُلُّ خَبَرٍ في الشَّريعة فهو إما مُضَافٌ إلى ما في القرآن ومعطوفٌ عليه ومُفَسِّرٌ لجُمْلَتِهِ، وإما مُسْتَثْنًى منه مُبَيِّنٌ لجُملَتِهِ، ولا سبيل إلى وَجْهٍ ثالث."٢٥

ولما كان محمد حسين هيكل لا يثق بكُتُبِ الحديث والسِّيرة؛ وذلك حيث قوله: "إن أصْدَقَ مرجع للسِّيرة إنما هو القرآن الكريم؛ فإن فيه إشارةً إلى كل حادث من حياة النبي العربيِّ، يتخذها الباحث منارًا يهتدي به في بحثه، ويُمَحِّصُ على ضيائه ما ورد في كُتُبِ السُّنَّةِ، وما جاء في كُتُبِ السِّيرة المختلفة."٢٦

إن ما ذكره هيكل في السُّطورِ السابقة يُعَدُّ بمثابة كلمة حَقٍّ أُريدَ بها باطل؛ وذلك لإظهاره عدم ثقته في كُتُبِ الحديث والسِّيرة بدعوى أنها لا توافق القرآن

الكريم، وأن القرآن جاء جامعًا لكل تفاصيل السِّيرة النبوية! ولوجارينا هيكل في هذه الدعوى، لكان من حق كل واحد منا–كما يقول الشيخ مصطفى صبري : " أنْ يقوم، فيرد كل ما ورد بكتاب (حياة محمد) تقريبًا؛ بِحُجَّةِ أنه لم يَرِدْ به القرآن! وكان الواجب على هيكل أن يُحجِم عن تأليف كتابه هذا الذي سماه (حياة محمد)، فمن أي مَصدَرٍ كَتَبَ ما كتبه فيه إن كانت كُتُبُ السِّيرة والحديث غير جديرة بالثِّقَةِ والتَّعْويلِ، وإن كان أصحابها مُتَّهَمينَ بالأغراض السِّياسيَّةِ والدِّينيةِ ؟!"٢٧. إن التَّشكيكَ في كُتُبِ الحديث والسِّيرة على الإطلاق يؤدي إلى التَّشكيك في القرآن أيضًا؛ لأن تلك الكتب هي المَرْجِعُ– أيضًا– في مسألة جَمْعِ القرآن وما التُزِمَ فيه من الدِّقَّةِ في ضَبْطِ الأصل. وليس لهيكل بأن يَتَعَزَّى بأن القرآن جُمِعَ قبل طُروءِ الفساد على الروايات؛ لأن نَبَأَ هذا الجمع– أيضًا– يصل إلينا من طريق رُواةِ الحديث والسِّيرة المَطْعونِ في أماناتهم٢٨.

والغريب أن هيكل في الوقت الذي يُشَكِّكُ فيه في كُتُبِ الحديث والسِّيرة، نجده يُصرِّح في مُقدِّمةِ كتابه بأن كُتُبَ المستشرقين عاونَتْهُ كما عاونَتهُ كُتُبُ السِّيرة والتفسير في الاهتداء إلى غايةٍ يطمئن إليها!٢٩. أيُّ غايةٍ تلك التي يمكن الاطمئنان إليها من خلال كُتُبِ المستشرقين؟ إنهم يَنقلونَ عن مصادرنا ويُحرِّفونَ ويُؤوِّلونَ لحاجةٍ في أنفسهم– إلا قليلاً منهم– فكيف نطمئن إلى كُتُبِهِم ولا نطمئن إلى كُتُبِ الحديث والسِّيرة ؟! إنَّ هذا لشيءٌ عُجَاب!.

وفي كتابه (سِيرَةُ المُصْطَفَى– صلَّى الله عليه وسلَّم– نَظرَةٌ جَديدَةٌ) اتَّهمَ هاشم معروف الحُسَيْني رُوَّادَ المغازي الأوائل بأنهم أضافوا إلى السِّيرة النَّبويَّة ما ليس منها؛ إمَّا عن حُبٍّ وهوىً، وإمَّا عن حِقْدٍ وسوءِ نِيَّةٍ، وقد ذكر الحُسَيْنيُّ منهم: عُروَة بن الزبير، ومحمد بن شهاب الزُهَري، وشُرَحْبيل بن سعد، وأبَان بن عُثْمان،

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

وعَاصِم بن عمر بن قَتَادة، وموسى بن عُقبة، وابن إسْحَاق، وذلك رغم اعترافه– أي الحُسَيْني– في مُقَدِّمَةِ الكتاب بفضل سَبْقِهِم إلى التأليف في السِّيرة النَّبويَّة.

وقد لاحَظْتُ أن الحُسَيْنيَّ يُكَرِّرُ الاتهامَ– نفسه– في مواضع أخرى من كتابه؛ فقد زَعَمَ أن هؤلاء الذين دَوَّنوا السِّيرة في مطلع القَرْنِ الثَّاني الهجري قد أدخلوا عليها عشرات القصص والأحاديث؛ إمَّا عن حُبٍ وهوى، و إمَّا بِقَصْدِ التَّشْويهِ والتَّشويشِ لِسُنَّةِ الرَّسول– صلَّى الله عليه وسلَّم– وسيرته٣٠، كما أنه يتهمهم بالكذب والتَّدليس والعمالة للأمُويين٣١؛ ويظهر ذلك في مثل اتِّهامِهِ للإمام الزُهَرِيِّ بالعمالة للأمويين ووضع المرويات التي تُسيءُ إلى الهاشميين لصالح الأمُويين٣٢.

وهؤلاء الذين طَعَنْ فيهم الكاتب هُمْ أعْلامُ المغازي ورُوَّادُها الأوائل ؛ فَعُرْوَةُ بن الزبير(ت:٩٤هـ)، تابِعيٌّ ثِقَةٌ، رَوَىَ عنه الأئمَّةُ السِّتَّةُ، وهو من فُقهاءِ المدينة السَّبعة. أمَّا أبان بن عُثمان (ت:١٠١) أو (١٠٥هـ)، فهو تابِعِيٌّ ثِقَةٌ أيضًا. وأمَّا عَاصِم بن عُمر بن قَتَادة (ت:١١٩هـ)، فهو تابعيٌّ ثِقَةٌ أيضًا. وأمَّا شرحبيل بن سعد أبوسعد المدني مولى الأنصار (ت:١٢٣هـ)، فهو صَدُوقٌ اخْتَلَطَ بآخر أيَّامه ٣٣؛ قال عنه ابن عُيَينَة: "لم يَكُن أحَدٌ أعلم بالمغازي والبَدريين منه"٣٤. وأمَّا موسى بن عُقبة (ت:١٤٠هـ)، فهو مُحَدِّثٌ ثِقَةٌ؛ أثنى الأئمَّةُ على مغازيه واعتبروها من أصَحِّ مَا أُلِّفَ في السِّيرة؛ و" كان مالِكٌ إذا سُئِلَ عن المغازي، قال: عليك بمغازي الرَّجُلِ الصَّالح موسى بن عُقْبَةَ فإنه أصحُّ المغازي"٣٥، وقال الإمَام الشَّافعيُّ: "وليس في المغازي أصَحُّ من كتاب مُوسى بن عُقْبَة مع صِغَرِهِ وخُلُوِّهِ من أكثر ما يُذْكَرُ في كُتُبِ غيره"٣٦. وأمَّا ابن إسحاق (ت:١٥١هـ) إمام المغازي، فقد قال الإمام الشَّافِعيُّ عنه:" مَنْ أراد أن يَتَبَحَّرَ في المغازي، فهو

عِيَالٌ على محمد بن إسحاق"٣٧، وقال ابن سيد النَّاس: "هو العُمدَةُ في هذا الباب لنا ولغيرنا"٣٨. وأمَّا الإمام ابن شِهَاب الزُّهَرِيُّ (ت:٩٤هـ)، فقد أجمع الأئمَّةُ على جلالته وثِقَتِهِ، وما اتِّهامُهُ بالعمالة للأمُويين سوى دعوى باطلة سَبَقَ الكَاتِبَ إليها المستَشرِقُ اليهوديُّ جولد تسيهَر؛ وهذه الدَّعوى قام بتفنيدها وإبطالها الدكتور مصطفى السِّباعيُّ في كتابه (السُّنَّةُ ومكانَتُهَا في التَّشريعِ الإسْلامِيِّ)٣٩.

أما حسين مؤنس؛ فقد جعل مغازي الواقديِّ وطبقات ابن سَعْد في مُقدِّمَةِ مصادر كتابه (دِراسَاتٌ في السِّيرةِ النَّبَوِيَّة؛ فالأول لغزارة مادَّته مع الصِّحَّة والإتقان، والثَّاني لِحُسْنِ اختياره مع الشُّمولِ والفِطنَةِ، وذلك إضافة لِكَوْنِ كل منهما مكتوب على طريقة المؤرِّخين، لا على منهج المُحَدِّثين٤٠؛ يقول حُسَيْن مؤنس عن الواقديِّ وابن سَعْد- مُضِيفًا إليْهما الطَّبَرِيَّ-: "وهؤلاء الثَّلاثةُ كانوا مُؤَرِّخِين لا يَتَّبِعُونَ مَنهَجَ المُحَدِّثين اتِّباعًا دقيقًا، ولهذا تَعَرَّضوا لنَقْدٍ شديدٍ من جانب المُحدَثين، واتُّهِمُوا بالكذب والتَّدليس!"٤١.

وهذا الإطلاق في كلام مُؤنِس غير صحيح؛ فالطَّبريُّ وابْنُ سَعْد كلاهما ثِقَةٌ، أما الواقِدِيُّ فهو مُتَّهَمٌ فعلاً عند أهل الحديث، إلا أن الجميع يُسَلِّم بإمامته في المغازي والسِّيرِ. وكان المفروض علَى الكاتب- وهو المؤرِّخُ الذي يَدَّعِي الالتزام بالمنهج التَّاريخيِّ الدَّقيقِ- أنْ يَتَثَبَّت مِنْ كلامه قبل نَشْرِهِ، ولم يكن له تعميم الحُكْم بهذا الإطلاق. ويبدو أن مُؤْنِسَ لا يهتم برأي المُحَدِّثين ولا يعترف به في تقييمه للعلماء الذين يتعامل مع مؤلَّفاتهم؛ ويظهر مذهبه ذلك حيث قوله في شأن الواقديِّ: "ومُعْظَمُ إسْنَادِ الوَاقِدِيِّ مِنْ أهْلِ الصِّدْقِ والأمَانِةِ، ولِهَذَا فإنَّنا نُنَزِّله مِنَّا مَنزِل الثِّقة!"٤٢.

ومما يُذكَرُ أن مؤنس يعتمد كثيرًا (مغازي الوَاقِدِيِّ)، ويعتبرها من أصدق مَراجِعِ السِّيرة، وهو يرى أن الواقديَّ مظلومٌ عند رجال الحديث المتأخِّرين٤٣. ورَأْيُ مؤنس– هذا– غير صحيح؛ فَتَضْعيفُ الوَاقِدِيِّ لا ينحصر في كونه لا يروي كل خَبَرٍ بِسَنَدِهِ. وهذا الرأي تَواتَرَ نَقْلُهُ عن الأولين من علماء الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ؛ يقول البُخَارِيُّ: "الواقِدِيُّ مَدَنِيٌّ سكن بغداد، مَتْروكُ الحديث؛ تَرَكَهُ أحمد بن المبارك، وابن نُمَيْر، وإسماعيل بن زكريا. وقال في موضع آخر: كَذَّبهُ أحمد. وقال معاوية بن صالح: قال لي أحمد بن حنبل: الوَاقِدِيُّ كَذَّاب، وقال لي يحى بن معين: ضعيف، وقال مَرَّة: ليس بشيء، وقال مَرَّة:كان يقلب حديث يونس بغيره عن مُعَمِّر، ليس بِثِقَةٍ، قال: ابن المديني الهيثم بن عدي أوثَقُ"٤٤، وقال النَّسَائِيُّ: "مَتْرُوكُ الحَدِيث"٤٥، وقال ابن المَدينيِّ:" ليس بِمَوْضِعٍ لِلرِّوايَةِ. وقال إسحاقُ بن راهويه: هو عندي ممَّن يَضَع" ٤٦. فهؤلاء هم أهل الحديث المتَقَدِّمين الأثْباتُ الثِّقَاتُ، وهذا حُكْمُهُمْ فِيه.

وفي مقابل ذلك نجد حسين مُؤنِس شديد التَّحامل على سيرة ابن هشام، كثير النقد لها، فهو يعتبرها شيئًا آخر غير سيرة ابن إسحاق، وقد صَرَّحَ بأنه لا يكاد يعتمد عليها إلا قليلاً جدًّا ٤٧؛ وذلك لكون ابن هشام أعاد صياغة سيرة ابن إسحاق وأضاف إليها وحَذَفَ منها٤٨؛ ممَّا أضرَّ بسيرة ابن إسحاق٤٩.

ولعلَّ سلوك مُؤْنِس هذا المسلك وتَبَنِّيه لذلك الرَّأيِ أمْرٌ ناتجٌ عن تأثُّره بمنهج المستشرقين؛ يقول الدكتور أكرم ضياء العُمَري: "وهناك اتجاهٌ خاطئٌ عند بعض المستشرقين، تَابَعَهُم فيه بعضُ مؤرِّخينا، يُعَلِّي من شأن مغازي الواقديِّ، ويُقَدِّمُهَا على سيرة ابن إسحاق. والحَقُّ أن سيرة ابن إسحاقٍ أدَقُّ وأوثَقُ، ومعلوماتها تتطابق مع معلومات كُتُبِ الحديث في كثيرٍ من الجوانب"٥٠.

***** المَبْحَثُ الثَّاني: إنْكَارُ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ :**

إن الإقدام على إنكار الأحاديث الصحيحة التي تواترت بنَقْلِ العَدْلِ الضَّبْطِ عن مثله حتى مُنتهاهُ إلى رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم- أو غيره من صحابته الأجِلَّاء لَيُعَدُّ دليلاً دامغًا على جَهْلٍ فاضِحٍ بِسُنَّةِ رسول اللهِ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وبفِقْهِ الحديث وأقوال المُختَصِّين من العلماء في هذا الشَّأن. وقد كان رُوَّادُ المدرسة الإصلاحية الحديثة ممن تَبَنُّوا رَدَّ وإنكار صِحَاح الأحاديث بدعوى أنها تُعارِضُ عِصْمَةَ النُّبُوَّةِ تارةً، أو لكونها تُناقِضُ العقل تارةً ثانيةً، أو لكونها أحاديثًا آحادًا لا تَقُومُ حُجَّة في مجال العقائد.

وبهذه السُّنَّةِ السَّيِّئَةِ التي سَنَّها رُوَّادُ المدرسة الإصلاحِية الحديثة، فُتِحَ الباب على مصراعيه لكل من جاء بعدهم ممن هَبَّ ودَبَّ، ليتكلم في سُنَّةِ رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم- ويرد الأحاديث الصِحَاح بِدَعَأو لا تقوم على ساقٍ، ولا يُسْعِفُها جَنَاحٌ. والأدهى من ذلك أن الأمر قد تعدَّى الحدود؛ فنبتت نبتة خبيثة من بين المسلمين تُنكِرُ السُّنَّةَ النَّبويَّة، وتَنْفِي عنها صفة الوحي جُمْلَةً وتفصيلاً، وتطعن في رجالها، وتزعم بعد ذلك أن مرجعها الأول هو القرآن. وقد سَمَّى هؤلاءُ المُبتُدِعَةُ أنفسهم بالقرآنيين، وهم في ذلك من الكاذبين؛ فما أبعدهم عن القرآن وعن مُنَزِّلِهِ- جَلَّ شَأنُهُ- والذي أَمَرَ في كثيرٍ من آياته باتِّباعِ نبيِّهِ محمد- صلَّى الله عليه وسلَّم- واتِّباعِ سُنَّتِهِ، وقَرْنِ طاعته- صلَّى الله عليه وسلَّم- بطاعة الله عَزَّ وجَلَّ.

وفيما يأتي نماذجٌ من الأحاديث النَّبويَّة التي أنكرها بعضُ المعاصرين الذين كَتَبوا في السِّيرة النَّبويَّة:

١- حَديثُ سِحْرِ النبَّيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ :

إن إنْكار هذا الحديث ليس بِدْعًا في كتابات المعاصرين؛ بل هو أَمْرٌ قديمٌ، ومن قَبْلُ قال القاضي عَيَّاض: "اعْلَم وفَّقنا اللهُ وإيَّاك أنَّ هذا الحديث صحيحٌ مُتَّفَقٌ عليه، وقد طَعَنَتْ فيه المُلْحِدَةُ، وتَذَرَّعتْ به؛ لِسُخْفِ عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التَّشْكِيكِ في الشَّرْع ."٥١

وقد اتَّخَذَ دُعَاةُ المدرسة العقليَّةِ الحديثة أيضًا نَفْسَ الموقف الذي اتَّخذه المُلْحِدةُ قديمًا من هذا الحديث، وكان في مُقَدِّمَتِهِم الشَّيخُ محمد عبده؛ والذي أنكر صحة الحديث بدعوى أن القرآنَ الكريم نفى السحر عن النبي- صلَّى الله عليه وسلَّم- وذلك مع وَضْعِ الحديث في الآحاد إذا فُرِضَت صِحَّتُهُ، والآحَادُ لا يُؤخَذُ بها في العقائد، وأنه إذا جاز علي النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- السِّحْرُ لكان في ذلك إخْلالاً بالتبلِيغ٥٢.

وقد كان الدكتور محمد حسين هيكل؛ من أقطاب المدرسة العقليَّة الحديثة ممن أنكروا حديث سِحْرِ النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- حيث في كتابه (حياة محمد) ما نصه: "وفي هذه الفترة تجري القصَّةُ التي تُروَى أن اليهود سَحَروا محَمدًا بِفِعْلِ لُبَيد، حتى كان يَحسِبُ أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله. وهي قصة اضطَّرَبَتْ فيها الروايات اضْطِّرَابًا شديدًا يُؤيِّدُ رأي القائل بأنها مَحْضُ اختراعٍ، لا شيء فيها من الحق."٥٣

ويا حبَّذا لوسَمَّى لنا هيكل هذا القائلَ بِكَوْنِ حادثة السِّحْرِ- محل الحديث- مَحْضَ اختراع لنعرفه. ولنا أن نتساءل: كيف تكون القصة مجرد محض اختراعٍ، وهي مَرْوِيَّةٌ في أصَحِّ كتابٍ بعد كتاب الله- عَزَّ وجَلَّ ؟ ثم أين هو الاضْطِّرَابُ المَزْعومُ في الرِّوايات؟ وما الداعي للتشدد في إنكار قيام لُبَيد بن الأعصم

اليهودي بِسِحْرِ النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وقد قتلت اليَهودُ مِنْ قَبْلِهِ زكريَّا ويَحْيَ، وما كان مِنْ قَتْلِهِم الأَنَبْيَاءَ وطَبْخِهِم وتعذيبهم بشتى أنواع العذاب، والسِّحْرُ أيسر خَطْبًا من القَتْلِ والطَّبْخِ والتَّعْذِيب ؟٥٤.

وقد كان الدكتور حسين مُؤْنِس من بين المعاصرين المُنْكِرين لحديث سِحْرِ النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وذلك في كتابه: (دِرَاسَاتٌ في السِّيرَةِ النَّبَوِيَّة)؛ فهو لا يرى ضرورة للقول بأن محمدًا قد سُحِرَ؛ فهو يعتبر الأمر مُجَرَّد حالة مَرَضِيَّة لم يُشَخِّصُهَا أَحَدٌ، وقد نزلت بالرَّسول وشُفِيَ منها؛ وفي ذلك يقول الدكتور مُؤْنِس: "وفي مَعْرضِ الكلام عن صحة رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم- نقول دون أن ندخل في تفاصيل تَهُمُّ الفقهاء وأهل الحديث وحْدَهُم: إن الرَّسولَ- صلَّى الله عليه وسلَّم- نزلت به في أوائل السَّنة السَّادسة للهجرة نازِلَةُ مَرَضٍ، وقد يكون شَكَا من بعض الحُمَّى، فَنَسَبَها النَّاسُ إلى السِّحْرِ، ثم شُفِيَ من مَرَضِهِ هذا، وعاد يتابع نشاطه المعروف."٥٥

وممن سلكوا مسلك الإنكار أيضًا كان الأستاذ هاشم معروف الحُسْنِيُّ في كتابه (سِيرَةُ المُصْطَفَى- صلَّى الله عليه وسلَّم- نَظْرَةٌ جَديدَةٌ)، وقد زاد الحُسنيُّ فادَّعى أن الحديث من موضوعات المنافقين أو الصحابة؛ وذلك بِقصْدِ التشكيك في رسالة محمد والتشكيك في القرآن الكريم؛ لأنه إذا جاز على النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- أن يُصْبِحَ في مَرْحَلةٍ يُخَيَّلُ إليه أنه يقول ويفعل بدون وَعْيٍ ولا تفكيرٍ؛ يجوز عليه أن يقول ما لم يَقُلْهُ٥٦. وليس مُسْتَغرَبًا مِنْ رَافِضِيٍّ مثل صاحب الكِتَابِ أن يَطْعَنْ في صَحَابَةِ رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم- ويتَّهمهم بِوَضْعِ الحَدِيث.

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

وبالبحْث والتدقيق نجد أن الحديث الذي رَدَّهُ هؤلاء مَرْوِيٌّ في صحيحِ البُخَارِيِّ من حديث عائشَةَ- رضي الله عنهَا- حيث قالت: "سُحِرَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وما فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وهو عَنْدِي، دَعَا اللَّهَ ودَعَاهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ» قُلْتُ: ومَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «جَاءَنِي رَجُلاَنِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عَنْدَ رَأْسِي، والآخَرُ عَنْدَ رِجْلَيَّ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: ومَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ اليَهودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ وجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هو ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ »، قَالَ: فَذَهَبَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى البِئْرِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا وعَلَيْهَا نَخْلٌ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ: «واللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، ولَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أفأَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «لاَ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِيَ اللَّهُ وشَفَانِي، وخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا» وأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ."٥٧

ويذكر أن ما تَعَلَّلَ به هؤلاء المُبتَدِعَةُ من حِجَجٍ واهيةٍ لِرَدِّ الحديث هي نفسها التي تَذَرَّعَ بها مُنْكِروهذا الحديث قديمًا، تلك الحُجَجُ التي نَقَضَها جُلَّةٌ من العلمَاء المُحَقِّقين؛ ومنهم الإمام المازِرِيُّ الذي قال: " أنكر بَعْضُ المُبْتَدِعَةُ هذا الحديثَ وزعموا أنه يَحُطُّ مَنْصِبَ النُّبُوَّةِ ويُشَكِّكُ فيها، قالوا: وكُلُّ ما أدَّى إلى ذلك فهو باطلٌ وزعموا أن تَجْوِيزَ هذا يعْدم الثِّقَة بما شرعوه من الشَّرائع؛ إذْ يُحْتَمَلُ على هذا أنْ يُخَيَّلَ إليه أنه يرى جبريل وليس هو ، ثم وأنه يُوحِي إليه بشيءٍ ولم يُوحَ إليه بشيءٍ. قال المازِرِيُّ: وهذا كُلُّهُ مردودٌ؛ لأن الدَّليلَ قد قام على صِدْقِ النَّبِيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- فيما يُبَلِّغُهُ عن الله- تعالى- وعلى عِصْمَتِهِ فِي التبليغ

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

والمعجزاتُ شاهداتٌ بتَصْدِيقِهِ، فَتَجْوِيزُ ما قام الدَّلِيلُ على خِلافِهِ باطلٌ. وأما ما يتعلَّقُ ببعضِ أُمُور الدنيا التي لم يُبْعَثْ لأجلها ولا كانت الرسالة من أجْلِهَا، فهو في ذلك عُرْضَةٌ لما يعترض البشر؛ كالأمراض فغَيْرُ بَعيدٍ أنْ يُخَيَّلَ إليه في أمْرٍ من أُمُورِ الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أُمُورِ الدِّينِ. قال: وقد قال بعض الناس إن المُراد بالحديث أنه كان- صلَّى الله عليه وسلَّم- يُخَيَّلُ إليه أنه وطىء زوجاته ولم يَكُنْ وَطِأَهُنَّ، وهذا كثيرًا ما يقع تَخَيُّلُهُ للإنسان في المنام، فلا يَبْعُدُ أن يُخَيَّلَ إليه في اليَقِظَةِ. قلت: وهذا قد وَرَدَ صريحًا في رواية بن عُيَيْنَةَ في الباب الذي يلي هذا؛ ولفْظُهُ: حتى كان يرى أنه يأتي النِّساءَ ولا يأتيهنَّ. وفي رواية الحُمَيْدِيِّ أنه يأتي أهله ولا يأتيهم."٥٨

وكان من بين أولئك العلماء المُحَقِّقينَ الذين تناولوا إمكانيةَ وقوع السِّحْرِ على النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- القاضي عَيَّاض؛ فقد اعتبرَ السِّحْرَ مَرَضًا من الأمراض؛ يجوز على النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- كَبَقِيَّةِ الأمراض مما لا يُنْكَرُ ولا يَقْدَحُ في نُبُوَّتِهِ، ثم قال:" وأمَّا ما وَرَدَ أنه كان يُخَيَّلُ إليه أنه فَعَلَ الشَّئَ ولا يفعله، فليس في هذا ما يُدْخِل عليه داخلة في شئٍ من تبليغه أو شريعته، أو يقدح في صِدْقِهِ؛ لقيام الدليل والإجماع على عِصْمَتَهِ من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طُرُوُّهُ عليه في أمْرِ دنياه التي لم يُبْعَث بسببها ولا فُضِّلَ من أجْلِها، وهو فيها عُرْضَةٌ للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يُخَيَّل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان، وأيضًا فقد فَسَّرَ هذا الفضلُ الحديثَ الآخَرَ من قوله: {حَتَّى يُخَيَلَ إليه أنه يأتي أهلَهُ ولا يأتيهنَّ}، وقد قال سُفْيَانُ: هذا أشدُّ ما يكون من السِّحْرِ، ولم يأت في خيْرٍ منها أنه نقبل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فَعَلَهُ ولم يفعله، وإنما كانت خواطر وتخييلات."٥٩

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

وقد عَقَّبَ الدكتور محمد سعيد رمضان البُوطِيُّ على ذلك بقوله: "وهو كما يَحْصُلُ للمريض عند شِدَّةِ الحُمَّىَ؛ فمن الأعراض الطبيعية لذلك أن تَطُوفَ بالذِّهْنِ أخْيِلَةٌ وأوهَامٌ غَيْرُ حقيقيَّةٍ؛ لِشِدَّةِ وَطْأَةِ الحَرارَةِ، والأمْرُ في ذلك وأشباهه من الأعراض البشريَّة التي يستوي فيها الأنبياء والرُّسل مع غيرهم من الناس."٦٠

٢- حَديثُ خَوْخَة أبي بَكْرٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

توقَّفَ الأستاذ محمد عَزَّة دَرُوزَة في قبول ما رواه المفسِّرون في قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا..} الآية[٦١]؛ فذكر أنه كانت لبعض أصحاب رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم- أبوابٌ مفتوحةٌ على المسجد النَّبويِّ، وكان ساكنوها يضطرون إلى العبور منها، فَرُخِّصَ لهم. وقد مال دَروزَة إلى القول بأن الترخيص إنما كان لسُكَّانِ بيوت النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- كما استغرب الحديث الذي أمر فيه النَّبيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بإغلاق خَوْخَاتِ المسلمين من المسجد إلا خَوْخَة أبي بكر٦٢. وقد عَلَّلَ دَروزة ذلك بسبب بُعْدِ مَسْكَنِ أبي بكر عن المسجد في السُّنْحِ، ثم قال: "ونَخْشَى أنْ يَكونَ لِمَا كَانَ مِنْ مُشَادَّةٍ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ والشِّيعَةِ حَوْلَ الخِلافَةِ النَّبَويَّةِ أَثَرٌ- ما- في هَذَا الخَبَرِ؛ فَفِي الرِّوايَاتِ المروِيَّةِ أَسْبَابًا لِنُزولِ بَعْضِ الآيَاتِ، وفِي الأحَادِيثِ المُسْنَدَةِ أو المَرْفوعَةِ إلَىَ النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- كَثيرٌ مِنْ هَذا البَابَ."٦٣

وليس ثَمَّةَ ما يُخْشَى والحمد لله؛ ففي الحديث" اخْتِصَاصٌ ظَاهِرٌ لِأَبِي بَكْرٍ، وفِيهِ إِشَارَةٌ قَوِيَّةٌ إِلَى اسْتِحْقَاقِهِ لِلْخِلَافَةِ، لا سِيَّمَا وقَدْ ثبت أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي آخِرِ حَيَاةِ النَّبِيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- فِي الْوَقْتِ الذِي أَمَرَهُمْ فِيهِ أَنْ لا يَؤُمَّهُمْ إلا

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

أبُوبَكْرٍ."٦٤ أما التعليل الذي استند إليه الأستاذ دَروزَة في رَدِّ الحديث فهو ضعيفٌ جدًّا؛ فَكَوْنِ منزل أبي بكرٍ بالسُّنْحِ لا يَنْفِي أن لا يكون له دَارٌ أخرى مجاورةٌ للمسجد، ومنزله الذي كان بالسُّنْحِ هو منزل أصهاره من الأنصار ٦٥.

٣- حَديثُ أنَّ النَّبِيَّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- كَانَ لا يَشْبَعُ مِنَ الطَّعَامِ:

هذا الحديث أنكره الدكتور حسين مؤنِس في كتابه (دِرَاسَاتٌ في السِّيرَةِ النَّبَوِيَّة)، وقد رَدَّ في كتابه هذا على القاضي عيَّاض؛ والذي ذكر في كتابه (الشِّفَا) أن رسول الله خرج من الدنيا ولم يَشبَعْ من خُبزِ الشَّعيرِ؛ زُهْدًا في الطَّعَامِ. وقد عارض الدكتور مُؤنِس ذلك الحديث باعتباره من وجهة نظره "يَتَنافَىَ مَعَ مَا يَنبَغي لِلنَّبيِّ مِنْ طَبْعٍ لِيِّنٍ لا تَشَدُّدَ ولا تَكَلُّفَ فِيهِ، ولِمَاذَا- والله- لا يَشْبَع رَسُولُ اللهِ مِنْ خُبْزٍ؟ وأيُّ حِكْمَةٍ أو فَضِيلَةٍ في ذَلِكَ مَا دَامَ خُبْزُ الشَّعيرِ مَيْسُورًا لأفْقَرِ أَصْحَابِهِ ؛ يَمْلَأُ مِنْهُ بَطْنَهُ مَتَى أَرَادَ ؟."٦٦

وهذا الرأي مَرْدُودٌ على مُؤنِس؛ فما ذهب إليه القاضي عَيَّاض هو الحقُّ بعينه،وهو ما تشهد له الأحاديث الصحيحة؛ فقد روى البُخَارِيُّ في كتابه (الجَامِعُ الصَّحِيحُ) عن سعيدٍ المَقْبَرِيِّ، عن أبي هُرَيرَة- رضي الله عنه-" أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ، فأبَى أَنْ يَأْكُلَ،وقَالَ:خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدُّنْيَا ولَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ"٦٧.وفي (صَحِيحِ مُسْلِم) مِنْ حَدِيثِ عائِشَةِ، قَالَتْ: "مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا، حَتَّى قُبِضَ."٦٨

وقد وردت الآيات في هذا المعنى بألفاظٍ مختلفةٍ، ولِمَنْ أراد التَّوسُّعَ في ذلك فعليه أن يرجع إلى كُتُبِ الشَّمَائِلِ؛ فقد اشتملت من ذلك على جُمْلَةٍ صالحةٍ. ولقد كان من اليسير على النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- لوأراد أن يعيش كما يعيش

الأغنياء والمُترَفون، لكنه آثَرَ الآخرة على الدُّنيا؛ لِعِلْمِهِ بحقيقة الدُّنيا، ولَمَّا اشتكت إليه زوجاتُهُ– رضي الله عنهن– شَظَفَ العَيْشِ الذي هُنَّ فيه، وقد سألنه النفقة حتى نزل في ذلك قرآنٌ يُتْلَىَ؛ حيث قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا، وإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ ورَسُولَهُ والدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا}٦٩. وفي صحيح البخاريِّ عن أبي هُرَيْرَة، قال:" اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّد قُوتًا"٧٠، قَال ابْنُ بَطَّال:" فيهِ دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِ الكَفَافِ وأَخْذِ البُلْغَةِ مِنَ الدُّنْيَا والزُّهْدِ فِيمَا فَوْقَ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي تَوَفُّرِ نَعِيمِ الآخِرَةِ وإِيثَارًا لِمَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى فَيَنْبَغِي أَنْ تَقْتَدِيَ بِهِ أُمَّتُهُ فِي ذَلِكَ."٧١

فالنبي– صلَّى الله عليه وسلَّم– هو قُدْوَةُ كل المسلمين منذ بعثته وحتى يوم القيامة، وكل فِعْلٍ أو مَسْلَكٍ سَلَكَهُ في حياته في حِلِّهِ وترحاله، وكل لفظ تَلفَّظَ به كان بحساب. وبالتالي فما كان من النبي– صلَّى الله عليه وسلَّم– من تقَشُّفٍ وزُهْدٍ إنما هو كَشْفٌ وتَدْلِيلٌ من جانبه على فناء الدنيا،وبيان للجزاء الأوفى والنعيم المقيم في الآخرة، والذي سَيُجْزَى به من يَحْذُوحَذْوَهُ، وهذه هي الحكمة الجليلة التي فاتت الدكتور حسين مُؤنِس!.

٤– حَديثُ أنَّ النَّبيَّ– صَلَّى اللهُ عَليْهِ وَسَلَّمَ– مَاتَ ودِرْعُهُ مَرهو نَةٌ عَنْدَ يَهودِي:

وهذا الحديث أيضًا كان مما أنكره الدكتور حسين مُؤنِس في كتابه (دِراسَاتٌ في السِّيرَةِ النَّبَويَّةِ)؛ وذلك حيث يقول:" إنَّ رَسولَ اللهِ عَاشَ عُمْرَهُ كُلَّهُ قَبْلَ النُّبوَّةِ وبَعدَهَا مَيْسورَ الحَالِ مِنْ كَسْبِهِ، أو عَمَلِهِ، أو مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ المَالِ الحَلالِ، وكَيْفَ يُعْقَلُ أن يَرهَنُ رَسولُ اللهِ دِرْعَهُ وهو المُحارِبُ البَاسِلُ ؟ ولا يَجوزُ

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

لِلْفَارِسِ أنْ يَرْهَن دِرعَهُ قَطْ. ثُمَّ يُبالِغونَ في ذَلِكَ، فيقولون: إنَّ الدِّرعَ كانَتْ مَرهونَةً عَنْدَ يَهودِيٍّ، ومِثْلُ هَذَا الكَلامُ فِيهِ إِسَاءَةٌ ومَسَاسٌ إِلَىَ المُصْطَفَى، ولِهَذَا فَنَحْنُ لا نَقْبَلُهُ ونَرْفُضُهُ مِنْ مَوْقِعِ الإيمَانِ والحُبِّ للرَّسولِ."٧٢

أقول: إن الحديث الذي رَدَّهُ مُؤنِس قد خَرَّجَهُ البُخَارِيُّ في صحيحه من حديث عائشة؛ حيث قالت: " تُوُفِّيَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ودِرْعُهُ مَرْهونَةٌ عَنْدَ يَهودِيٍّ بِثَلاَثِينَ"٧٣ ؛ يعني صاعًا من شعير.

هذا، ولم يكن الكاتب مُبْتَدِعًا في رَدِّهِ هذا الحديث؛ فقد سبقه إلى ذلك أقوامٌ " قالوا: رَوَيتُم أنَّ رَسولَ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ- تُوفِّيَ ودِرْعُهُ مَرْهونَةٌ عَنْدَ يَهوديٍّ بِأصْواعٍ مَنْ شَعِيرٍ. فَيَا سُبْحَانَ الله، أمَا كَانَ في المُسلِمينَ مُواسٍ وَلا مُؤثِرٍ وَلا مُقْرِضٍ، وقَدْ أكْثَرَ اللهُ- عَزَّ وَجَلَّ- الخَيرَ وفَتَحَ عَلَيْهِم البِلادَ، وهَذَا كَذِبٌ، وقَائِلُهُ أرَادَ مَدْحَةَ النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- بِالزُّهْدِ وبالفَقْرِ. ولَيْسَ هَكَذا تُمْدَحُ الرُّسُلِ.."٧٤.

وقد رَدَّ ابن قُتيبَة على هؤلاء وأمثالهم بما كان فيه دَحْضٌ لِتَعَسُّفِهِمْ في إنكار بعض الأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة الصَّحيحة؛ وذلك كان فيما نصُّهُ:" ونَحْنُ نَقُولُ إِنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا مَا يُسْتَعْظَمُ، بَلْ مَا يُنْكَرُ؛ لأنَّ النَّبِيَّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- كَانَ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ بأمْوَالِهِ، ويُفَرِّقُهَا عَلَى الْمُحِقِّينَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وعَلَى الفُقَرَاءِ والمَسَاكِينَ، وفِي النَّوَائِبِ التِي تَنُوبُ الْمُسْلِمِينَ، ولا يَرُدُّ سَائِلًا، ولا يُعْطِي إِذَا وَجَدَ إلا كَثِيرًا، ولا يَضَعُ دِرْهَمًا فَوْقَ دِرْهَمٍ.. وكَيْفَ يَعْلَم الْمُسْلِمُونَ، وأهْلُ اليَسَارِ مِنْ صَحَابَتِهِ، بِحَاجَتِهِ إلى الطَّعَامِ، وهو لا يَعْلَمُهُمْ، ولا يَنْشَطُ فِي وَقْتِهِ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ. وقَدْ نَجِدُ هَذَا بِعَيْنِهِ فِي أنْفُسِنَا وأشْبَاهِنَا مِنَ النَّاسِ. ونَرَى الرَّجُلَ يَحْتَاجُ إلى الشَّيْءِ، فَلَا يَنْشَطُ فِيهِ إلى وَلَده، ولا إلى أَهله ولا إلى جَاره ويَبِيعُ العَلَقَ ويَسْتَقْرِضُ مِنَ

الغَرِيبِ والبَعِيدِ. وإنَّمَا رَهَنَ دِرْعَهُ عَنْدَ يَهودِيٍّ؛ لأنَّ الْيَهودَ فِي عَصْرِهِ، كَانُوا يَبِيعُونَ الطَّعَامَ ولمْ يَكُنِ المُسْلِمُونَ يَبِيعُونَهُ، لِنَهْيِهِ عَنْ الِاحْتِكَارِ. فَمَا الذِي أَنْكَرُوهُ مِنْ هَذَا، حَتَّى أظْهَرُوا التَّعَجُّبَ مِنْهُ، وحَتَّى رَمَى بَعْضُ الْمَرَقَةِ الْأَعْمَشَ بالكَذِبِ مِنْ أَجْلِهِ؟!."٧٥

٥- حَديث أنَّ النَّبيَّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم- أَغَارَ عَلَى بَني المُصْطَلِقِ وهُمْ غَارون:

وهذا الحديث ثابتٌ في الصَّحيحين٧٦، لكن الشيخ الغزاليَّ رَدَّ هذا الحديث بدعوى أنه يَشْعُرُ بأن الرَّسول- صلَّى الله عليه وسلَّم- بَاغَتَ القَوْمَ على غِرَّةٍ، وهذا أمْرٌ مُسْتَنْكَرٌ في سيرة رسول الله- صلَّى الله عليْه وسلَّم. وقد اطمأنَّ الشَّيخُ الغَزاليُّ إلى رواية ابن جرير على ضَعْفِهَا؛ لأنها تَتَّفِقُ مع قواعد الإسلام التي تَقْضِي بأنه لا عُدْوان إلا على الظالمِين. وقد أول الغَزاليُّ حديثَ الصَّحيحين على أنه مَرْحَلَةٌ ثانيةٌ من مراحل الإسلام .

واعتراض الشيخ لا يَسْلَم له؛ ذلك أنَّ كُتُبَ الحَديثِ بحُكْمِ عَدَمِ تَخَصُّصِها لا تُورِدُ تفاصيل المغازي وأحداث السِّيرة، بل تقتصر على بعض ذلك مما ينضوي تحت شَرْطِ المؤلِّفِ أو وَقَعَتْ له روايته، ومِنْ ثَمَّ فإنها لا تُعْطِي صورةً كاملةً لِمَا حَدَثَ، وينبغي إكمال الصُّورة مِنْ كُتُبِ السِّيرة المختَصَّة٧٧.

وإذا ما رجعنا إلى كُتُبِ السِّيرة نجد أنها تُوَضِّحُ - صلَّى الله عليه وسلَّم- أنذَرَ بني المصْطَلِقِ، فلواقتصرنا على رواية الصَّحيحين دون أن نتبين حُكْمَ الإسلام في إنذار العَدُولوقعنا في خطأٍ ولَبْس.

ومما يُذكَرُ أن الشَّيخَ الغَزاليَّ– نفسه– يقول: "إنَّ الحُكْمَ الدِّينيَّ لا يُؤخَذُ مِنْ حَديثٍ واحِدٍ مَفْصولٍ عَنْ غَيْرِهِ، وإنَّمَا يُضَمُّ الحَديثُ إلى الحَديثِ، ثُمَّ نُقَارِنُ الأحَاديثَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ القُرآنُ الكَريمُ. "٧٨

ولعل رواية مُسْلِم تَدُلُّ على أن الغارة على بني المصْطَلِق وقعت دون إنذار؛ لأنهم ممن بَلَغَتْهُم دعوة الإسلام، وقد كانوا يُعْتَبَرونَ في حَرْبٍ مع المسلمين منذ اشتراكهم مع قريش في غزوة أُحُد، كما كانوا يجمعون الجموع لحرب المسلمين٧٩ ؛ فقد أخرج في صحيحه من حديث ابن عَوْنٍ قال:" كَتَبْتُ إِلى نَافِعٍ أَسْأَلُهُ عَنْ الدُّعَاءِ قَبْلَ الْقِتَالِ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيَّ:" إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي أول الإِسْلَامِ، قَدْ أَغَارَ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وهُمْ غَارُّونَ، وأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وسَبَى سَبْيَهُمْ، وأَصَابَ يَوْمَئِذٍ– قَالَ يَحْيَى: أَحْسِبُهُ قَالَ– جُوَيْرِيَةَ– أو قَالَ: الْبَتَّةَ– ابْنَةَ الْحَارِثِ. "٨٠

ويَوَضِّحُ ابنُ إسحاق سبب الغزوة؛ فيقول رواية عن شيوخه:" بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ– صلَّى الله عليه وسلَّم– أَنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ يَجْمَعُونَ لَهُ، وقَائِدُهُمْ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ أبوجُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، زَوْجِ رَسُول الله– صلى الله عَلَيْهِ وسلّم– فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِهِمْ خَرَجَ إِلَيْهِمْ، حَتَّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ: الْمُرَيْسِيعُ، مِنْ نَاحِيَةِ قَدِيدٍ إلى السَّاحِلِ، فَتَزَاحَفَ النَّاسُ واقْتَتَلُوا، فَهَزَمَ اللَّهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، ونَفَّلَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَبْنَاءَهُمْ ونِسَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ، فَأَفَاءَهُمْ عَلَيْهِ."٨١

****المَبحَثُ الثَّالِثُ: إنكارُ المُعجِزاتِ، والتَّشكِيكُ فِيهَا، والتَّعَسُّفُ في تأويلها:٨٢**

وهذا الميدان زَلَّتْ فيه أقدام كثيرٍ ممن كتبوا في السيرة النَّبويَّة في العصر الحديث. وقد كان رُوَّادُ المدرسة العقليَّة الحديثة من أبرز الذينَ تولَّوا كِبْرَ ذلك، وهو ما يمكن تسميته بالاتِّجاه التَّوفيقيِّ في كتابة السِّيرة النَّبويَّة، وهو الاتَّجاهُ الذي حاول أصحابه التَّوفيق بين معطيات الدِّين الإسلاميِّ ومعطيات الحضارة الغربيَّة الحديثة، تلك الأخيرة التي اتَّخذها هؤلاء مَصْدَرًا رئيسًا من مصادر ثقافتهم التي انحرفت عن الحقِّ في أفكارها ومبادِئها؛ فقد كانت مسألة المعجزات من أكثر قضايا السِّيرة النَّبويَّة التي بَرَزَ فيها هذا الاتِّجاهُ؛ تارةً بإنكارها وعدم ذكرها أصلاً، وتارةً ثانيةً بالتَّشكيك فيها، وتارةً ثالثةً بتأويلها حتى تُصبِح من قبيل المألوف؛ فالطَّيرُ الأبابيلُ تَؤوَّلُ بالجراثيم، والملائكة التي أمَدَّ اللهُ- تعالى- بها المؤمنين في غزوة بَدْرٍ تُفَسَّرُ بالمَدَدِ المَعَنْويِّ، ورحْلَةُ الإسراء والمِعْراجِ تُؤَوَّلُ بِوْحَدَةِ الوجُودِ وسِياحَةِ الرُّوحِ، بل إن بعضهم أول المعجزات النَّبويَّة كلها على أنَّها ضَرْبٌ من الحَظِّ الذي رافق النَّبيَّ. وقد اعتبر هؤلاءُ القرآنَ الكريمَ المعجزة الوحيدة والقَطْعِيَّةَ التي تُثْبِتُ نُبُوَّة محمد، وحتى هذا الاعتبار من هؤلاء فِيه نَظَرٌ؛ فحتى المعجزات والغيبيَّات التي أوردها القرآن الكريم؛ كالإسراءِ والمِعْرَاجِ، ومَدَدِ الملائكة يوم بَدْر أَعمَلوا فيها التأويل العقليَّ؛ حتَّى تُوافِقُ المَألوفَ وتُسايِرُ العَقْلِيَّةَ الغَربِيَّة.

فهذا الشيخ رشيد رضا- وهو واحدٌ من تلاميذ الشيخ محمد عبده، وواحدٌ من أشهر رُوَّادِ المدرسة العقليَّة الحديثة- يرى أنه لولا حكاية القرآن لآيات الله التي أيَّدَ اللهُ بهَا موسى وعيسى- عليهما السَّلام- لكان إقْبَالُ الأحْرَارِ عليه أكثر،

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

واهْتِدَاؤهَمْ به أعم وأسرع، وهو يرى كذلك أن العجائب الكونيَّة- والمقصود بها المعجزات النَّبويَّة- هي مثارُ شُبَهَاتٍ وتأويلاتٍ كثيرةٍ في روايتها وفي صِحَّتِهَا وفي دلالتها. كما يرى أن أمثال هذه الأمور تقع من أناسٍ كثيرين في كُلِّ زمانٍ، والمنقول منها عن صُوفِيَّةِ الهُنودِ والمسلمين أكثر من المنقول عن العهدين: العَتِيقِ والجَدِيدِ، وعن مناقب القِدِّيسِينَ ؛ وهي من مُنَفِّرَاتِ العلماء عن الدِّينِ في هذا العصر ٨٣.

ويبدو أن الشيخ رشيد رضا يريد من القرآن الكريم أن يُجامِل أحْرَارَ الإفرِنجِ هؤلاء؛ فنجدُهُ يَذْكُرُ ما يَرْضونَ ويُعْرِضُ عمَّا لا تَسْتَسيغُهُ عُقُولهُمُ؛ حتى يَنْقَادوا لِدِينِ الإسلام، واللهُ- عزَّ وجلَّ- يقول:{وَلَواتَّبَعَ الْحَقُّ أَهو اءهُمْ لَفَسَدَتِ السماواتُ والْأَرْضُ..} الآية ٨٤.

وقد سَرَتْ عدوى هذا الإنكارِ والتَّعَسُّفِ في التأويل إلى كثيرٍ ممَّنْ كَتَبوا في السِّيرةِ النَّبويَّة من المُحْدَثِين؛ فكان منهم الشيخ عبد الحليم محمود، الذي تَرْجَمَ كِتَابَ (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ)، للفرنسيِّ المُسْلِمِ (إتيين دينيه)؛ ويظهر مثل ذلك في تعليقه على بعض كلام ذلك المُسْتَشرِقِ قائلاً: "على أنَّ بَعضَ المُعْجِزاتِ التي تُنْسَبُ إلى مُحَمَّدٍ لَيْسَتْ مِنْ نُصُوصِ القُرْآنِ، وإنَّما قد نَسَبَهَا إليه مُؤرِّخوالعُصورِ المتأخِّرةِ؛ تقليدًا للمعجزاتِ التي تُنْسَبُ إلى المسيحِ، فهي ليست من الدِّينِ في شيءٍ."٨٥

أقول: إن صحيحَ الإيمان بنُبُوَّةِ محمّدٍ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وسلامةَ عقيدةِ كُلِّ مُسْلِمٍ يقضيان بضرورة الإيمان بما أكْرَمَ اللهُ- تعالى- به نَبِيَّهُ- صلَّى الله عليه وسلَّم- من معجزاتٍ مخصوصةٍ. وكيف يستقيم إيمانُ الرَّجُل الصالحِ في

حالِ إنكاره لما ثَبُتَ قَطْعًا من معجزات النَّبيِّ محمد– صلَّى الله عليه وسلَّم– وهي أكثر من أن تُعَدَّ وتُحْصَىَ.

ومن بين هؤلاء الْمُحْدَثينَ الذين تَعَسَّفوا في إنكار المعجزات الموجودة في كُتُبِ السِّيرةِ كان الدكتور عبد المنعم ماجد، والذي كَتَبَ يقول:"..لكِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَرْضَ أنْ يُنسَبْ إليْهِ مُعْجِزَةٌ غيْر مُعجِزَةِ نُزولِ الوَحْيِ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ اللهِ؛ فَكَانَ يَرُدُّ عَلَيْهِم بِقَوْلِهِ:{قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا}٨٦. ومَعَ ذَلِكَ لَمْ يَحِلْ رَفْض النَّبيِّ الإتْيَانَ بِالمُعْجِزَاتِ مِنْ أنْ تُنْسَب إليْهِ صِفَاتٌ خَارِقَةٌ؛ فَبَعْضُهُمْ يَؤكِّدُ أنَّهُ حِينَ وِلادَتِهِ خَرَجَ نُورٌ أَضَاءَ الشَّامَ، وأنَّهُ وهو صَغيرٌ شَقَّت الملائِكَةُ بَطْنَهُ وغَسَلُوا قَلْبَهُ بِالثَّلْجِ..وأيْضًا فَسَّروا سُورَةَ الإسْراءِ بِأنَّ اللهَ رَفَعَهُ إلى السَّمَاءِ، وأنَّهُ قَطَعَ رِحْلَةً سَمَاويَّةً في بِضْعِ سَاعَاتٍ مِنَ اللَيْلِ."٨٧

وقد كان الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه (حَيَاةُ مُحَمَّد) أبرز الممثِّلين للاتِّجاهِ المُنْكِر لصحَّةِ الأحاديثِ والأخبارِ التي تُنسَبُ للنَّبيِّ– صلَّى الله عليه وسلَّم– والتي تَضَمَّنَت كثيرًا من مُعْجِزاتِ النَّبيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم. ويُذْكَرُ أن الشيخ مصطفى المراغي قد انْبَرَىَ للثَّناء على كِتَابِ هيكل وقْتَ صُدورِهِ؛ فقد أشاد بالطَّريقةِ العِلْمِيَّةِ التي سار عليها هيكل في كتابه، تلك الطَّريقَة التي تَسْتَبْعِدُ كُلَّ ما أورَدَتْهُ كُتُبُ الحديثِ والسِّيرَةِ مِنْ مُعْجِزاتٍ، وإنَّما هو القرآن والقرآن فقط.

ومما جاء في تقديم المراغي؛ قوله: "ولَمْ تَكُنْ مُعْجِزَةُ مُحَمَّد– صلَّى الله عليه وسلَّم– القَاهِرَةُ إلا في القُرْآنِ، وهي مُعْجِزَةٌ عَقْلِيَّةٌ. وما أبدع قول البوصيريِّ:

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا العُقُولُ بِهِ حِرْصًا عَلَيْنا، فَلَمْ نَرْتَبْ ولَمْ نهم)٨٨

ويبدو أن الشيخ نَسِيَ أو تناسى أن يقف عند كثير من المعجزات التي أشار إليها البُوصيريُّ في القصيدة– نفسها– ويُمَثِّلُ لذلك قول البُوصيريِّ:

جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الأَشْجَارُ سَاجِدَة تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلا قَدَم

ومما يُذكَرُ أن الشيخ رشيد رضا كان من بين المدافعين عن هيكل؛ وذلك حيث يقول:" أَهَمُّ ما يُنْكِرهُ الأَزْهَرِيُّون والطُّرُقِيُّون على هيكل أو أكثَرَهُ مَسْأَلَةَ المعْجِزاتِ أو خَوارِقَ العَادَاتِ، وقد حَرَّرتُها في كِتَابِ الوَحْيِ المُحَمَّديِّ مِنْ جَميعِ مَناحِيها ومَطاويهَا في الفَصْلِ الثَّاني، وفي المَقْصِدِ الثَّاني مِنَ الفَصْلِ الخَامِسِ بما أُثبِتُّ به أنَّ القُرْآنَ وَحْدَهُ هو حُجَّةُ اللهِ عَلَى ثُبوتِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ بالذَّاتِ ونُبُوَّةِ غَيرِهِ مِنَ الأنبِيَاءِ، وآيَاتِهِم بشَهَادَتِهِ لا يُمْكِن في عَصْرِنا إثبات آيَةٍ إلا بها، وأنَّ الخَوَارِقَ الكَوْنِيَّةَ شُبْهَةٌ عَنْدَ عُلَمَائِهِ لا حُجَّة؛ لأنَّهَا مَوْجُودَةٌ في زمانِنَا كَكُلِّ زَمَانٍ مَضَى وأنَّ المفْتونينَ بِهَا هُم الخُرَافِيُّونَ مِنْ جَمِيعِ الملَلِ."٨٩

والعجيب حقًّا هذا الفصل الذي يُقيمُهُ المراغِيُّ ورشيد رضا وهيكل وغيرهم بين مُعْجِزَةِ القرآنِ والمُعْجِزَاتِ الأخرى؛ "إذْ لَمْ تَبْلُغنا مُعْجِزاتُ رَسولِ اللهِ المُخْتَلِفَةِ إلا مِنْ حَيْثُ بَلَغَتْنَا مِنْهُ مُعْجِزَةُ القُرْآنِ. والإقْدامُ عَلَى تأويل هَذَا وتَسْليمُ ذَاكَ طِبْقَ مَا تَسْتَهوي النَّفْسُ ويتَّفِقُ مَعَ الغَرَضِ، إسْفَافٌ غَريبٌ في تَصَنُّعِ البَحْثِ، والفَهْمِ لا يُقْدِم عَلَيْهِ مَنْ كَانَ كَريمًا عَلَى نَفْسِهِ مُعْتَزًّا بِعَقْلِهِ."٩٠

ومن بين الذين ساروا في رِكَابِ محمد حسين هيكل كان محمد جميل بِيهَم في كتابه (تَاريخُ فَلْسَفَةِ مُحَمَّد)؛ فهو تحت عنوان (هل قام الإسلام على المُعْجِزَاتِ) يقول:" الوَاقِعُ أنَّ ثِقَاتَ العُلَماءِ مِنَ المسْلِمين- كابْنِ رُشْدٍ في كِتَابِهِ (مَناهِجُ الأدِلَّةِ)- أجْمَعوا عَلَى أنَّ مُحَمَّدًا كَانَ في دَعوَتِهِ إنَّما يَعْتَمِدُ على الإقْنَاعِ والإيمانِ، وكَانَ كَمَا وَصَفَهُ حُسَيْن هِيكَل في كِتَابِهِ (حَياةُ مُحَمَّد) حَريصًا على أنْ يُقَدِّرَ المسلِمون أنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُهُم يُوحَى إلَيْهِ، حَتَّى كَانَ لا يَرْضَى أنْ تُنْسَب إلَيْهِ مُعْجِزَةٌ غير القُرْآن! وأَنْكَرَ هَؤلاءُ الثِّقَاتُ عَلَى أَمْثَالِ؛ البَيهَقِيِّ وأبي نَعيم والقَاضِي

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

عَيَّاض تَكْدِيسَهُمْ المعْجِزَاتِ فيمَا وَضَعوهُ مِنْ أَسْفَارٍ..وكَانَ اسْتِنادُ هَؤلاءِ الثِّقاتِ يَقْتَصِرُ عَلَى القُرْآنِ الذي بَيْنَ أَيْدينَا وعلى الحَديثِ الصَّحِيحِ، وهُمَا وَحْدَهمَا المرْجِعُ في هَذَا الشَّأْنِ وَالحُكْمُ"٩١.

وليت هؤلاء يَصْدُقُون في هذه الدَّعوى؛ فقد تَضَمَّنَ القُرآنُ الكريمُ الإشَارَةَ إلى بَعْضِ المُعْجِزاتِ؛ كالإسراء، وانشقاق القمر، والإخبار بالمغيباتِ، وذلك إضافة إلى ما حَفِلَتْ به كُتُبُ الصِّحَاحِ- وعلى رأسها صحيح البُخَارِيِّ وصحيح مُسْلِم- من أحاديثٍ وَفيرَةٍ تحدثت عن مُعْجِزاتِ النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- فإذا كان القرآن الكريم والحديث الصَّحيح هما حقًّا مرجع هؤلاء الثِّقاتِ في هذا الشَّأنِ، فلا سبيل-إذًا- إلى إنكار ما وَرَدَ فيها من مُعجزاتٍ، أو التَّعَسُّفِ في تأويلها بما لا يقبله الشَّرْعُ. وهل ما ادَّعاهُ الكاتِبُ صحيح من القَوْلِ بأن الرَّسول- صلَّى الله عليه وسلَّم- كان لا يَرْضَى أن تُنْسَب إليه مُعْجِزَة ؟ إذًا لكان نَهَى أصحابَهُ عن رواية الأحاديث التي تُشيرُ إلى تلك المعجزات وما اقتَرَنَتْ به من أحداثٍ، ولوحَدَثَ ذلك لَوصَلَنَا كما وَصَلَتْنَا نَواهِيه الأخرى، ولما وَصَلَتْنَا تلك المُعْجِزاتُ إطلاقًا. فَلَمَّا لمْ يِصلنا من ذلك النَّهيِ شَيءٌ ووَصَلَنَا من مُعْجِزَاتِهِ الشَّيءُ الكثيرُ، تَبَيَّنَ لِكُلِّ عَاقِلٍ أنَّ كلامَ هيكل الذي تَبَنَّاهُ الكاتبُ مُجَرَّدُ دعوى لا تَستَنِدُ إلى دليل.

أما هؤلاء الذين ذَكَرَهُم محمد جميل بِيهَم ممَّنْ أَنْكَرَ عليهم تكديسَ المُعجزاتِ فيما وضعوه من أسفارٍ؛ كأبي نَعيمٍ، والبَيْهَقِيِّ، والقَاضي عَيَّاض، فَهُمْ عُلَمَاءٌ ثِقَاتٌ مَشْهودٌ لهم بالعِلْمِ والعدالةِ، وإذا كانت كُتُبُهُمْ التي أَلَّفوهَا في دلائلِ النُّبُوَّةِ قد شابها الضَّعيفُ والموضوعُ، فإنَّ الصَّحيحَ فيها هو الغالب، والمَنطِقُ السَّليمُ يقضي بأن نُمَيِّزَ هذا عن ذاك، لا أن نلغي الكُلَّ جُمْلَةً وتَفْصِيلاً.

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

ولقد حاول جميل بيهَم وَضْعَ السِّيرةَ النَّبويَّةَ بأسلوبٍ يَعْتَمِدُ على النَّواميسِ الطَّبيعيَّةِ التي تَرْبُطُ الأسبابَ بالمُسَبِّباتِ وتُرتِّبُ النَّتائِجَ على المُقَدِّمَاتِ؛ فَأَرْجَعَ نجاح دعوة سيدنا محمد- صلَّى الله عليه وسلَّم- إلى أسبابٍ تَتَّصِلُ بهذه النَّواميسِ. وكان ممَّا يُؤخَذُ عليه في مَسْلَكِهِ هذا أنه اتَّخذَ هذه النَّواميس تَكِأَةً لإنكارِ المعجزات، وذلك إلى جانب تغافُلِهِ عن وجود أسبابٍ أخرى تَتَّصِلُ بعَالَمِ الغَيْبِ ممَّا كان له أَثَرٌ حاسمٌ في نجاح تلك الدَّعوةِ؛ فهناك عناية الله- تعالى- ورعايته ونَصْرُهُ الذي يَتَنَزَّلُ من السماء، وكذا جنوده التي لا تُرَى، ففي الهجرة مثلاً اتَّخَذَ النَّبيُّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- جميع الاحتياطات الممكنةِ لتأمينِ هذهِ الرِّحلةِ المباركةِ، وقد تَرَبَّصَ المشركون بالرَّسولِ- صلَّى الله عليه وسلَّم- ليقتلوه، فخرج- صَلَّى الله عليه وسلَّم- من بينهم، وقد أَعْمَى اللهُ أبصارَهُم فَلَمْ يروه. وفي الغار وقف- عليه الصَّلاة والسَّلام- وصاحبه أبوبكر الصِّديق- رضي الله عَنه- وقد وَقَفَ المشركون على حافَّةِ الغار لدرجة أن أحدهم لوكان نظر إلى موضع قدميه لرآهما، لكنَّها العناية الإلهيَّة التي كانت تحمي نبيَّهُ الكريم وصاحبه آنذاك، تلك العنايةُ الإلهيَّةُ التي لازَمَتْ النَّبيَّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وصاحبه في طريقهما إلى المدينة، وكان سُراقَةُ يطاردهما حتَّى غاصَتْ قَوائِمُ فَرَسِهِ في الرِّمال ..وما إلى ذلك من أمثلة كثيرة تداولتها كُتُبُ السِّيرةِ النَّبويَّةِ بِنَقْلِ العُدولِ الأثْبَاتِ من العُلمَاءِ المحقِّقين، وهي حقائقٌ واضحَةٌ للعَيَانِ، لا يُنْكِرُها إلا مُعَانِدٍ مُكَابِرٍ أو جاحدٍ مُنْكِرٍ، لقوله تعالى: {واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}٩٢.

وقد لاحَظْتُ أن محمد جميل بيهَم قد انْفَرَدَ برأيٍ لعَلَّهُ لم يُسْبَق إليه، فَلَمْ أجِدُ من يُتابِعَهُ فيه من كُتَّابِ السِّيرةِ المعاصِرين؛ ويتمثَّلُ ذلك الرَّأيُ في اعتبار بِيهَم كون المعجزات التي أَكْرَمَ اللهُ- تعالى- بها نبيَّهُ الكريمَ مُجَرَّد حَظٍّ كان يرافقُ

النَّبيَّ محمد- صلَّى الله عليه وسلَّم- وذلك حيث يقول: " كَانَ مُحَمَّد مِنَ المحْظوظِين الذينَ رَافَقَهُمْ حُسْنُ الطَّالِعِ، فبِالإضَافَةِ إلَى العَنْاصِرِ الكَثيرَةِ الخَارِجِيَّةِ والدَّاخِلِيَّةِ التي خَدَمَتْهُ، فَقَدْ عَرَضَتْ في حَيَاتِهِ حَوادِثٌ مُتَعَدِّدَةٌ رَافَقَهَا الحَظُّ عَفْوًا عَلَى غَيْرِ انتِظَارٍ، وكَانَ الحَظُّ وَسيلَةً لِسَلامَتِهِ، وكَانَ أيْضًا وَسِيلَةً لِخُرُوجِهِ مِنْها مُنْتَصِرًا."٩٣

وقد ساق بيهَم أمثلةً لهذه الدَّعوى؛ منها ما ذكره عند حديثه عن اليوم الذي لجأ فيه النَّبيُّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وأبوبكر إلى غار ثَوْرٍ؛ وذلك حيث يقول:"وهَكَذا فَإنَّ مُحَمَّدًا وصَاحِبَهُ مَا كَانا يَسْلَمَانِ مِنَ الغَدْرَ لوْلا أنَّ الحَظَّ أو القَدَرَ- إنْ شِئْتَ أنْ تَقول- صَرَفَ هَؤلاء الفِتْيَان عَنْهُما وحَوَّلَ رَائدَهُمْ عَنْ دُخولِ الغَارِ." ٩٤

وقد عَقَّبَ بيهَم بعد عَرْضِهِ بعض محاولات اغتيال النَّبيِّ- صلىَّ الله عليه وسلَّم- قائلاً: "ولكِنَّ كُلَّ هَذِهِ المحاولاتِ بَاءَتْ بالفَشَلِ؛ لأنَّ الحَظَّ كانَ يُرافِقَهُ :

وإذا العِنَايَةُ لاحَظَتْكَ عُيونُهَا نَمْ، فَالمَخَاوفُ كُلُّهُنَّ أمَان"٩٥.

من الحديث السَّابق يظهر لنا تَهَرُّبًا واضحًا من الكاتب من تسمية ما حدث في غار ثَوْرٍ من تسليط جنود الله على الكُفَّارِ لإلهائهِم عن رُؤيةِ النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وصاحبه أبي بكرٍ الصِّديقِ- رضي الله عنه- للإيقاع بهما بالمُعجِزَةِ، فنراه يُسَمِّي ما حَدَثَ بالحَظِّ. وممَّا يُذكَرُ ويؤكِّدُ صِحَّةَ ما نذهبُ إليه، عدم فَهْمِ بيهَم لمعنى البيت الشِّعْريِّ الذي استشهد به؛ فهو لم ينتبه إلى أن المعجزات بِحَدِّ ذاتها لَتُمَثِّلُ أَحَدَ المَظاهر الكُبْرَى للعِنايةِ الإلهيَّةِ المَذكورةِ في البيت ذاته.

ومن العَجَبِ العُجَابِ ما يُطالعنا به الدكتور طه حسين من تعريفٍ غريبٍ للمُعْجِزَةِ لم يُسْبَقْ إليه؛ فهو يقول عن مُعْجِزاتِ النَّبيِّ– صلَّى الله عليه وسلَّم–:"ثُمَّ لا يَخْلو أَمْرُهُ مِنْ هَذِهِ المعْجِزَاتِ التي تُبْهِرُ العُقولَ، وتَسْحِرُ الألْبَابَ دُونَ أنْ تُحْدِثَ في طَبيعَةِ الأشْياءِ حَدَثًا، أو تَتَجاوزَ بِعَاداتِ النَّاسِ الجَارِيَةِ طَرِيقَها المأْلوفِ"٩٦.

والحقُّ يُقالُ: فأنا لا أدري كيف وَفَّقَ الدكتور طه حسين بين كَوْنِ الأمر مُعْجِزَةً– أي: أمْرًا أو حَدَثًا خَارِقًا للعَادَةِ– وبين كَوْنِهِ لا يحدث في طبيعة الأشياء حَدَثًا أو يَخْرُجُ بعاداتِ النَّاسِ عن المألوفِ! إنَّ هذا الكلام هو التَّناقُضُ بعيْنِهِ.

وممَّنْ نحوا هذا المنحى أيضًا كان الأستاذ محمد عَزَّة دروزة في كتابه (سِيرَةُ الرَّسولِ– صُوَرٌ مُقتَبَسَةٌ مِنَ القُرآنِ الكريم)؛ فهو لا يُسَلِّمُ بِصِحَّةِ المعجزات المرْوِيَّة في مصادر السِّيرة، خاصَّةً تلك التي وَقَعَتْ في مَكَّة بُنَاءً على تَحَدٍّ للكفَّار، وحُجَّتُهُ في ذلك سُكوتُ القرآن عنهَا مع فترة تحدِّي الكفار، واقتصار الأجوبة القرآنيَّةِ على السَّلْبِ هذا إلى أن الرِّوايات غير مُتواترة ولا وَثيقَة، وكثيرٌ منها إنْ لم نَقُلْ أكثرها لم تَرِدْ في المُدَوَّناتِ القديمة إلى ما فيها من تَخالُفٍ كَبيرٍ في الوقت نفسه!."٩٧

وتعليقي على كلام دَروزة يَنْحَصِرُ في تساؤلي عن مفهوم التَّواتُرِ لديه؛ فكيف يَدَّعِي دَروزة أن هذه المعجزات غير مُتواتِرَة، وكيف يفهم التَّواتر ؟ وقد وقع أكثرُها في محافل المسلمين وجُمُوعِهِم، وقد رواها الجمُّ الغفيرُ، ثم نُقِلَتْ رواياتُها في كُتُبِ الحديثِ بِنَقْلِ العُدولِ الثِّقاتِ المَضْبوطين عن أمثالهم إلى مُنتَهَاهُم، وكان في مُقَدِّمَةِ تلك الكُتُبِ: الصَّحيحان للإمامَيْنِ (البُخَارِيِّ ومُسْلِم)، كما أَجْمَعَتْ عليها كُتُبُ السِّيرَة؟.

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

ثم إن دَروزَة قد سَبَقَ له الطَّعَن في مُدوَّناتِ السِّيرةِ القديمةِ، فكيف اطمأنَّ إليها الآن في تأييد رأيه بدعوى أن أكثر هذه المعجزات لم يَرِدْ في هذه المُدَوَّناتِ! مع أن واقع هذه المدَوَّنَاتِ واشتمالها على أكثرِ المعْجزاتِ النَّبويَّةِ مُفْصِحٌ بخلافِ ما قاله. وبالنِّسْبَةِ لاستناد دَروزَة للموقف السَّلبيِّ للقرآنِ إزاءَ تَحَدِّي الكفَّارِ في إنكارِ كثيرٍ من المعجزاتِ، فهو أمْرٌ لا يُسَلَّمُ له به ليُفْتي فيه بما لا يَصِحُّ ولا يلِقُ بشرفِ النُّبوَّةِ المُحمَّديَّةِ ولا بشأن القرآن الكريم الذي أنزله اللهُ- تعالى- شاهدًا ومُهَيْمِنًا على كُلِّ ما سبقه من كُتُبٍ سماويَّةٍ، ونذيرًا لِكُلِّ كافرٍ ومُعانِدٍ. وقد كان القرآن الكريم صريحًا في تعليلِ ما حاول دَروزَة الاستناد إليه بالباطل؛ وذلك حيث قوله تعالى: {وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الأولونَ}٩٨؛ فلا معنى لإجابة قومٍ دَيْدَنُهُمْ التَّكذيبُ والعِنَادُ لا التَّصْديقُ والإيمان .

وكان من الذين ساروا في رَكْبِ المنْكِرينَ لمعجزات النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- الأستاذ محمود عبَّاس العقَّاد في كتابه (عَبْقَرِيَّةُ مُحَمَّد)؛ وذلك حيث يقول:" إنَّما نَجَحَتْ دَعْوَةُ الإسْلامِ؛ لأنَّها دَعْوَةٌ طَلَبَتْها الدُّنْيا، ومَهَّدَتْ لها الحَوادِثُ، وقام بها دَاعِيَةٌ تَهَيَّأتْ له بعَنَايَةِ رَبِّهِ ومُوافَقَةِ أحْوَالِهِ وصِفَاتِهِ، فلا حَاجَةَ بها إلى خَارِقَةٍ يُنْكِرُهَا العَقْلُ، أو إلى عِلَّةٍ عَوجاءٍ يَلْتَوي بها ذَووا الأهواءِ، فهي أوضَحُ شَيءٍ لِمَنْ أحَبَّ أنْ يَفْهَم، وهي أقْوَمُ شَيءٍ سَبِيلاً لِمَنْ اسْتَقَام."٩٩

ولعلَّ الدَّافع الذي حَفَّزَ العقَّادَ ليَسْلُكَ دَرْبَ المنكرين يكمُنُ في رغبته في الكشف عن سِرِّ عبقريَّة محمد- صلَّى الله عليه وسلَّم- وكذا بيان صورها كما يفهمها البشرُ؛ فقد تَوجَّهَ العقَّادُ بكِتَابِهِ هذا لا للمؤمنين برسالة محمد- صلَّى الله عليه وسلَّم- فحسب، بل أيضًا لغير المؤمنين بها، ولذلك جاء كتابهُ خاليًا من كُلِّ أثَرٍ لِلمعجزات.

وإذا كان العقَّادُ قد وُفِّقَ في إبراز جوانب العَظَمَةِ والعبقريَّةِ، وكشف عن مَلَكَةٍ مُتَفَرِّدَةٍ للنَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- في التَّخطيطِ والتَّنظيمِ في شؤونِ الحربِ، فإنه أخطأ حين جعل العاملَ الأساسيَّ في ذلك امتيازه الذَّاتي ومواهبه الفِطْرِيَّة، مُتغافلًا- في مسلكه هذا- عن عواملٍ أخرى تتَّصلُ بعالم الغيبِ؛ "فهُنَاك وَعْدُ اللهِ، ورعايَتُهُ، وتوفيقُهُ، وملائكتُهُ المقاتلون، والنُّعاسُ الذي يُغْشِيه النَّاسَ أَمِنَةً، والمطَرُ الذي يُطَهِّرُهُم، والرِّياحُ التي تَقْتَلِعُ خِيامَ المشركين، وتَثْبيتُهُ لأفئدةِ المقاتلين، وقَذْفُهُ الرُّعْبَ في قلوبِ الكافرين، وقَدَرُهُ النَّافِذُ. العَديدُ من العواملِ كانت سببًا في تَهْيئةِ أسبابِ النَّصرِ للنَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- فكانت الغَلَبَةُ لجُنْدِ الإيمانِ جُنْدِ الله."١٠٠

فالعقَّادُ- إذًا- في كَشْفِهِ عن جوانبِ العبقريَّةِ في شخصيَّةِ سيِّدنا محمد- صلَّى الله عليه وسلَّم- بتجريده من مكانته الدِّينيَّةِ بين المسلمين، ودراسة شخصيَّتِهِ من الجانب الإنسانيِّ فقط، قد اكتفى بِذِكْرِ الأسباب المادِّيَّةِ التي مَكَّنَتْ النَّبيَّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- من التَّغَلُّبِ على أعداءِ الدِّينِ الإسلاميِّ، والتَّخطيطِ لتثبيت أقدامهِ بين صناديدِ الكُفْرِ، وأظْهَرَهُ في صُوَرَةِ إنسانٍ مُجَرَّدٍ، يعملِ بمواهبهِ النَّاميةِ ومَلَكَاتِهِ المتَفَتِّحَةِ، وقد أغفل- في الوقت ذاته- ذِكْرَ الأسباب الغيبيَّة التي شَكَّلَتْ مُكَوِّنًا رئيسًا في حياته- صلَّى الله عليه وسلَّم.

وممَّا يُذْكَرُ أن الشيخ مصطفى صبري قد أُعْجِبَ بكِتابِ العقَّاد في بعض مباحثه، لكنه عارضه لكونه من دُعَاةِ العَبْقَرِيَّةِ ومُرَوِّجيهَا بدل النُّبُوَّةِ ومُعْجزاتها. إلا أن العقَّادَ في نَظَرِ الشَّيخِ مصطفى صبري لم يتورَّط في السَّخافاتِ التي تَوَرَّط فيها غيره من دُعَاةِ العَبْقريَّةِ ومُنْكِري المعجزاتِ؛ أمثال: زكي مُبارَك، وفريد وجدي، ومحمد حسين هيكل، والشَّيخ شلتوت١٠١.

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

وحتى يتجلَّى موقفُ هؤلاء الكُتَّابِ المحْدَثينَ المُشَكِّكينَ والمنكِرينَ لِمُعجِزَاتِ الرسول- صلَّى الله عليه وسلَّم- واضحًا، فسوف أسُوقُ ها هنا أمثلةً تكشِفُ عن الأسباب التي دفعتهم لسلوكِ ذلك السَّبيل المُنحَرِفِ. وقد قَسَّمْتُ تلك المُعْجِزاتِ إلى مُعْجِزَاتٍ قبل النُّبُوَّةِ، وأخرى بعدها؛ وذلك على النحو التَّالي:

*** أولاً : مُعْجِزات قَبْل النُّبُوَّة:**

١- مُعْجِزَةُ الطَّيْرِ الأبَابيل:

وهي مُعْجِزَةٌ ثابتةٌ بِنَصِّ القرآن؛ حيث قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ* تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ.}١٠٢

وقد جَوَّزَ الشَّيخ محمد عبده عند تفسيره لهذه السُّورة أن تكون الطَّيرُ الأبابيلُ هي ما يُسَمَّى اليوم بالميكروبات، كما جَوَّزَ أن تكون الحجارةُ هي جراثيم بعض الأمراض؛ وذلك حتَّى يجعلها أمرًا مألوفًا تَسْتَسيغُهُ أذهانُ مَنْ لا يؤمنون بالخوارق.

وقد بالغ الشَّيخ محمد عبده في مُعْتَقَدِهِ الباطلِ هذا؛ فادَّعى أن ذلك ممَّا اتَّفقت عليه الرَّواياتُ ويَصِحُّ الاعتقادُ به؛ وذلك حيث يقول: "وفي اليَومِ الثَّاني فشا في جُنْدِ الحَبَشَيِّ دَاءُ الجُدَرِيِّ والحَصْبَةِ. قال عِكرِمَةُ: وهو أول جُدَرِيٍّ ظهر في بلادِ العَرَبِ، وقال يعقوب بن عُتْبَة فيما حَدَّثَ: إنَّ أول ما رُؤيَت الحَصْبَةُ والجُدَرِيُّ ببلادِ العَرَبِ ذلك العام..هذا ما اتَّفَقَت عليه الرِّواياتُ ويَصِحُّ الاعتِقَادُ به .. فيجوزُ لك أن تَعْتَقِدَ أنَّ هذا الطَّيرَ مِنْ جِنْسِ البَعوضِ أو الذُّبابِ الذي يَحْمِل جراثيم بعضِ الأمراضِ، وأنْ تَكونَ هذه الحِجارَةُ من الطِّينِ اليابِسِ الذي تَحْمِله الرِّيح فيَعْلَقُ بأَرْجُلِ هذه الحيواناتِ، فإذا اتَّصَلَ بِجَسَدٍ، دَخَلَ في مَسَامِهِ، فأثارَ فيه

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

تلك القُروح التي تنتهي بإفسادِ الجِسْمِ وتَساقُطِ لَحْمِهِ، وإنَّ كثيرًا من هذه الطُّيورِ الضَّعيفَةِ يُعَدُّ من أعظمِ جنودِ اللهِ في إهلاكِ من يُريدُ إهلاكَهُ من البشرِ، وإنَّ هذا الحيوانَ الصَّغيرَ الذي يُسمُّونَهُ الآن بالمِكروبِ لا يَخْرُجُ عنه، وهو فِرَقٌ وجماعاتٌ لا يُحْصِي عددَهَا إلا بارِئُها. هذا ما يَصِحُّ الاعتمادُ عليه في تفسير السُّورةِ، وما عدا ذلك فهو ممَّا لا يصح قَبولُهُ إلا بتأويل إنْ صَحَّتْ روايَتُه!."١٠٣

أقول: إنَّ ما زَعَمَهُ الإمامُ من اتِّفاقِ الرِّواياتِ على ما ذُكِرَ أمرٌ عُجابٌ في باب العلم وفي تفسير القرآن؛ فالرِّواياتُ مُخْتَلِفَةٌ في ذلك، وحدوث الإصابة بمرضِ الجُدَريِّ هذا لم تتّفق الرِّواياتُ على وقوعِهِ في جيش أَبْرَهَة، بل لم تُشِرْ أيّ من الرِّوايات إشارةً صريحةً إلى وقوعه فيهِم إلا رواية عِكْرِمَة. ثُمَّ إنَّ القضيَّةَ ليست في وقوع الجُدَرِيِّ في جيش أبْرَهَة أو عدم وقوعه، فهَذا أَمْرٌ لم يُشِرْ إليه القرآن لا بإثباتٍ ولا بنفيٍ، بل القضيَّة هي تأويل الطَّير على أنَّه البَعوضُ أو الذُّبابُ، وتأويل الحجارة من سِجِّيل بالجراثيم١٠٤.

والحال يقضي بالقول بأنَّ السُّورةَ صريحةٌ بإرسال الطَّيرِ، وهي سُورةٌ مَكِّيَّةٌ، والمُخَاطَبونَ بها– وفيهم كثيرٌ من أعداءِ الرَّسولِ– رأوا هذه الطُّيور، ولولم يروهَا لبادروا إلى تكذيب القرآن، ولا يُقبَل أن يقال إنهم رأوا المِكْروبَ أو الجراثيم؛ لأنَّهم لا يستطيعون رؤيتها. ولا يقال إنهم رأوا الذُّبَابَ أو البَعوضَ؛ لأنهم لا يرون الحجارة التي تحملها، فلم يكُنْ هناك بُدٌّ من أن يكونوا رأوا طيرًا ورأوا الحجارة التي تحملها، ورأوا الرَّمْيَ، ولا يهم بعد ذلك أن يكون هلاك الجيش بمجرَّدِ وقوع الحَجَر أو أن تكون هذه الحجارة قد أصابتهُ بمَرَضٍ من الأمراض؛ فالقرآن لم يُصَرِّح بذلك، بل ذَكَرَ هلاكهم بهذا العقاب الشَّديد١٠٥. هذا فضلاً عن أنَّ هذه الجراثيم لا عِلمَ للعَرَبِ بها وقت نزول القرآن؛ بل هي من مُكْتَشَفَاتِ الطِّبِّ الحديث،

والعَرَبِيُّ إذا سمع لفظ الحجارة في هذه السُّورة لن ينصرف ذهنه إلى تلك الجراثيم بحالٍ من الأحوال، وقد جاء القرآن بِلُغَةِ العَرَبِ، وخاطبهم بما يَعْهَدون ويألفون١٠٦.

وقد وافق العقَّادُ الشَّيخَ محمد عبده في رأيه، لكن على سبيلِ الجَوازِ، لا على سبيلِ الجَزْمِ، قائلاً:"فإذا قال المُفَسِّرُ: إنَّ هزيمةَ أصحابِ الفيلِ ربَّما كانتْ من فِعْلِ هذه الجراثيم، فذلك قولٌ مأمونٌ على سبيلِ الجوازِ والتَّرجيحِ، ولكنَّهُ غَيْرُ مأمونٍ على الجَزْمِ والتَّوكيدِ؛ لأنَّ الحَفْرِيَّاتِ التَّاريخِيَّة قد تَكْشِف لنا غدًا عن حِجَارَةٍ من سِجِّيل أُصيبَ بها أَصْحَابُ الفيلِ فَجَعَلَتْهُم كَعَصْفٍ مأكولٍ."١٠٧

وإلى نحو هذا التأويل الذي ذكره الشَّيخُ محمد عبده، ذهب الشَّيخُ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره؛ حيث قال: "وقد يكون هذا الطَّير من جِنْسِ البَعوضِ أو الذُّبابِ الذي يَحْمِلُ جراثيمَ بعضِ الأمراضِ، أو تكون هذه الحِجَارَةُ من الطِّينِ اليابِسِ المَسْمومِ الذي تَحْمِلُهُ الرِّياحُ، فَيِعْلَقُ بأَرْجُلِ هذا الطَّيْرِ، فإذا اتَّصلَ بِجِسْمٍ دخل فى مَسَامِهِ، فأثارَ فِيهِ قُرُوحًا تَنْتَهى بإفْسَادِ الجِسْمِ وتَسَاقُطِ لَحْمِهِ. ولا شَكَّ أنَّ الذُّبَابَ يَحْمِلُ كَثيرًا من جراثيمِ الأمراضِ؛ فوقوعِ ذُبَابَةٍ واحدَةٍ مُلَوَّثَةٍ بالمِكْروبِ على الإنسانِ كافِيَة فى إصابَتِهِ بالمَرَضِ الذي يَحْمِلُهُ، ثُمَّ هو يَنْقُلُ هَذا المَرَضَ إلى الجَمِّ الغَفيرِ من النَّاسِ، فإذا أَرَادَ اللهُ أنْ يُهْلِكَ جيشًا كثيرَ العَدَدِ بِبَعوضَةٍ واحدَةٍ لَمْ يَكُنَ ذلك بعيدًا عن مَجْرَى الإلْفِ والعَادَةِ، وهذا أقوى فى الدِّلالَةِ على قُدْرَةِ اللهِ وعَظيمِ سُلْطَانِهِ، من أن يكون هلاكُهُمْ بِكِبارِ الطُّيورِ، وغرائبِ الأُمور."١٠٨

وإلى مِثْلِ ذلك التأويل ذهب هيكل؛ فقال:"كان وَبَاءُ الجُدَرِيِّ قد تَفَشَّى بالجيشِ وبدأَ يَفْتِكُ به، وكان فَتْكُهُ ذَريعًا لم يُعْهَدْ من قَبْل قَطْ، ولعلَّ جراثيمَ الوَباءِ جاءتْ مع الرِّيح من ناحيةِ البَحْر!."١٠٩

وهذا التأويل لهيكل غريبٌ وبعيدٌ عن ظاهر آيات سورة الفيل؛ تلك السُّورَةُ التي أرَّخَتْ لحادثةِ إهلاكِ أبْرَهَة وجيشهِ الغاشمِ، وذلك بما كان فيه إعجازٌ وخُروجٌ عن المألوفِ لدى البشرِ؛ فقد عَبَّرت آياتُ السُّورَةِ بألفاظٍ واضحةٍ وصريحةٍ– ليس فيها كناياتٌ، ولا تحتمل معانٍ خَفِيَّةً– عن وصفٍ دقيقٍ ومباشرٍ للطَّريقة التي أهلكَ اللهُ بها أَبْرَهَةَ وجيشَهُ الغاشم بِحَمْلِ الطَّيْرِ الأبابيلِ لِحِجارةٍ من سِجِّيل. وبالتَّالي فليس هناك داعٍ للتَّعَسُّفِ في تأويل آيةٍ من آيات القرآنِ، وتحميلها ما لا تُطيقُه من مَعَانٍ بعيدةٍ ليس هناك أيُّ دليلٍ على صِحَّتِها.

٢– مُعْجِزَةُ شَقِّ الصَّدْر:

هذه الحادثةُ صحيحةٌ بما ورد في شأنها من أحاديثٍ تَواتَرَ نقلُها في كُتُبِ الأئمَّةِ الثِّقاتِ؛ فقد أخرج الإمام مُسْلِم من حديث أنَسٍ" أنَّ رَسُولَ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أتَاهُ جِبْرِيلُ– صلَّى الله عليه وسلَّم– وهو يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فأخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فاسْتَخْرَجَ القَلْبَ، فاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فقال: هذا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ في طَسْتٍ من ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ، ثُمَّ أعَادَهُ في مكانِهِ، وجاء الغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إلى أُمِّهِ – يَعَنْي ظِئْرَهُ – فقالوا: إنَّ مُحَمَّدا قد قُتِلَ، فاسْتَقْبَلُوهُ وهو مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ"، قال أنَسٌ: "وقد كُنْتُ أرى أَثَرَ ذلك المِخْيَطِ في صَدْرِهِ."١١٠

وعلى الرَّغمِ من ذلك الاشتهارِ الذي حَظَتْ به تلك الحادثة، فهي–كالعادة– لم تَصِحّ عند نَفَرٍ من كُتَّابِ السِّيرةِ في العصر الحديث، أمثال طه حسين ومحمد

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

حسين هيكل؛ يقول طه حسين: "وأيُّ بَأْسٍ على المسلمين في أن يسمعوا أنَّ نَفَرًا من الملائكةِ أقبلوا إلى النَّبيِّ وهو يَلْعَب، فأضجعوهُ، وشَقُّوا عن قَلْبِهِ وغَسَلوهُ حتَّى طهَّروهُ، ثُمَّ رَدُّوهُ كما كان، وأقاموه كأنَّهُ لم يُصِبْهُ مكروهٌ ؟لم يَصِحّ الحديثُ بهذا!ولكن المسلمين يَتَحَدَّثونَ به ويستمِعونَ له منذ أكثر من اثني عشر قرنًا، ولم يَفْسَد لذلك ذَوقُهُمْ، ولم يضعف إيمانُهُمْ."١١١

أما هيكل فقد ساق هذه القِصَّةَ، وذكر احتياط ابن إسحاق والطَّبريِّ في روايتها، ثم شَكَّكَ في صِحَّتِها، ورآها ضعيفة السَّندِ؛ اعتمادًا منه على رأي المستشرقين. وقد ذكر هيكل من أولئك المستشرقين: السِّير وليم مُوير، ودرمنجم. وقد بَرَّرَ هيكل موقف هؤلاء المستشرقين قائلاً:"وإنَّما يدعوالمستشرقين ويدعوالمُفكِّرين من المسلمين إلى هذا الموقِفِ من ذلك الحادِثِ أن حياةَ محمد كانت كلها حياةً إنسانيَّةً ساميَةً، وأنه لم يلجأ في إثبات رسالتهِ إلى ما لجأ إليه مَنْ سبقه مِنْ أصحابِ الخوارقِ. وهُمْ يجدون في هذا من المؤرِّخين العربِ والمسلمين سَنَدًا حين يُنكرون من حياة النَّبيِّ العربيِّ كُلَّ ما لا يدخُل في معروفِ العَقْلِ، ويرون ما وَرَدَ من ذلك غير مُتَّفِقٍ مع ما دعا إليه القرآنُ من النَّظرِ في خَلْقِ اللهِ، وأنَّ سُنَّةَ اللهِ لَنْ تَجِدَ لها تبديلاً ."١١٢

وليس غريبًا أن يُنْكِرَ هيكل مُعْجِزَةَ شَقِّ صَدْرِ رَسُولِ اللهِ- صلَّى الله عليه وسلَّم- لكن الغريب يَكْمُنُ في اعتماده على ابن إسحاق والطَّبَريِّ؛ مُعْتَبِرًا كُتُبهم بمثابةِ مصادر مُعتمدة شَكَّكتْ في تلك الحادثة، فهيكل- نفسه- هو من أعلن من قبل تشكيكه في كُتُبِ الحديثِ والسِّيرةِ. والأغربُ من ذلك اعتمادُ هيكل على المستشرقين في رَدِّ هذه المُعْجِزَةِ وإنكار صِحَّتِها، وذلك رغم كونها مرويَّة في كُتُبِ الصِّحاحِ وغيرها من كُتُبِ الحديث.

وكم كان الدكتور حسين مؤنس مُوفَّقًا في إثبات صِحَّةِ هذه المُعْجِزَةِ، على خِلافِ كَثيرٍ من المحْدَثِينَ الذين أنكروا المُعْجِزَاتِ وظَنُّوا ذلك حصافةً ونفاذَ فِكْرٍ؛ وفي ذلك يقول الدكتور مؤنس: "ولم يُعْجِبُنَا أنْ يَتَعَالَمَ بَعْضُ المحْدَثين ممَّنْ ظَنُّوا أنَّ إنكارَ حادِثَةِ شَقِّ الصَّدْرِ حَصَافَةً ونَفَاذَ فِكْرٍ. ونَقولُ لِهؤلاءِ: يا قَوم مَا دُمْتُمْ قد سَلَّمْتُمْ بأنَّ رسول اللهِ نَبِّي اللهِ الذي اصْطَفَاهُ رَبُّهُ لِيُوحِي إليهِ قُرْآنه ليُبَيِّنهُ للنَّاسِ، ويَفْتَح به للإنسانِيَّةِ عَصْرًا جديدًا، فما معنى إنكاركُم لِشَقِّ الصَّدْرِ وحَنينِ الجِذْعِ ؟ أليسَ هذا من ذاك ؟ وإذا لم يَدْخُلْ دماغكَ شَقُّ الصَّدْرِ لأنَّهُ خارِجٌ عن المعْهودِ، فكَيْفَ يَدْخُل دِمَاغَكَ وَحْيُ اللهِ لِرَسولِهِ في الغَارِ بِقُرْآنٍ عَرَبِيٍّ مُبينٍ، وهو أيضًا خارِجٌ عن المَعْهود؟!."١١٣

٣- مُعْجِزَةُ تَسْلِيمِ الحَجَرِ عَلَى النَّبيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

هذا، ولم يَسْلَم الدكتور حسين مُؤنِس من الوقوعِ في المحظورِ بِرَدِّ وإنكارِ بعضِ المعجزات التي وقعت للنَّبيِّ محمد- صلَّى الله عليه وسلَّم- ويظهر مثل ذلك في عَدَمِ قَبولِهِ لِمُعْجِزَةِ تَسْلِيمِ الحَجَرِ عَلَى النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وهو ما كان في تساؤلٍ طَرَحَهُ مُؤنِس ؛ كان مضمونُهُ: إنَّ الشَّجَرَ والحَجَرَ إذا كان يناديه قبل مشهدِ الغارِ أنَّه رسول الله، فما معنى فَزَعِهِ وخَوْفِهِ على نفسهِ بعد أن نزل عليه المَلَكُ أول مَرَّةٍ؟

وقد خَطَّأَ مُؤنِسُ (ابنَ إسحاقٍ) في الخبرِ الذي ساقهُ بخصوصِ تلكَ الحادثة١١٤، وقد فات الدكتور مُؤنِس أنَّ الخَبَرَ رواه مُسْلِمُ في صحيحهِ من حديثِ جابر بن سَمُرَة؛ حيث قال: قال رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم-: "إنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بمَكَّةَ كان يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ."١١٥

**** ثَانيًا : مُعْجِزاتُ بَعْدَ النُّبُوَّة :**

١- مُعْجِزَةُ الإسْرَاءِ وَالمِعْرَاج :

وهذه المُعجِزَةُ ثابتةٌ بِنَصِّ القرآن الكريمِ والأحاديثِ الصَّحيحةِ، لكن نَفَرًا من الكُتَّابِ المحْدَثين أنكروها على حقيقتها، وتأولوها على أنها رُؤيا مَنامٍ ليس إلا!.وقد كان الشَّيخُ محمد الخُضَريُّ واحدًا من هؤلاء المُنْكرين لتلك المُعْجِزَةِ؛ وقد ظهر ذلك في كتابهِ (مُحاضَرَاتٌ في تَاريخِ الأُمَمِ الإسْلامِيَّة)؛ حيث مال إلى القولِ بأنَّ الإسراءَ كان رُؤيا صادقة، وكان بالرُّوحِ لا بالجَسَدِ؛ وذلك حيث يقول: "وإطْلاعُ اللهِ نَبِيَّهُ في النَّومِ على ما يُريدُ إطْلاعه عليه لا يختلف شيئًا عن إطْلاعِهِ إيَّاهُ في يَقَظَتِهِ؛ لأنَّ رُؤيَا الأنبياءِ حَقٌّ؛ تَنامُ أعْيُنُهُمْ ولا تَنامُ قُلوبُهُمْ، فلا يَمْنَع هؤلاء مِنْ رَأيِهِم إضافة الإسراءِ إلى عبدِهِ، والرُّوحُ إذا جُلِّيَ لها المَسْجِدُ الأقْصَى تتمكَّنُ من رُؤيتَهِ ومَعْرِفَةِ تفاصِيلِهِ، ومُشاهدةِ آياتِ عَجائبِهِ أكثر من الرُؤيةِ العَيْنِيَّةِ ليلاً."١١٦

والغريب أنَّ هذا الموقف الذي تبنَّاه الشَّيخُ الخُضَرِيُّ مخالفٌ لِمَا سَطَّرَهُ من قبل في كتابه السَّابق والذي سمَّاه (نورُ اليقين)؛ حيث ذكر قول جمهور أهل السُّنَّة من أنَّ الإسراء كان بِجِسْمِهِ الشَّريفِ، وقد ساق حديث أنَسٍ عند الشَّيخين الدَّالِّ على ذلك١١٧، وذلك إضافة إلى رَدِّهِ على الذين ينكرون المعجزات بما يُبْطِل موقفهم؛ فقد قال بعد سياق معجزة شَقِّ الصَّدْرِ ما نصه: "وليس هذا بالعجيب على قُدَرَةِ الله- تعالى- فَمَنْ استبعد ذلك كان قليل النَّظرِ، لا يَعْرِف من قوة الله شيئًا؛ لأنَّ خَرْقَ العادات للأنبياء ليس بالأمر المسْتَحْدَثِ ولا الْمُسْتَغْرَب."١١٨

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

وقد يرجع السَّبَبُ في تَحوُّلِ الشَّيخ الخُضَرِيِّ من القولِ بقبولِ المعجزاتِ والإقرار بِصِحَّتِها في كتابه (نُورُ اليَقين) إلى إنكارها في كتابهِ (مُحَاضراتٌ في تاريخِ الأُمَمِ الإسْلامِيَّة) لتاريخ تأليف كُلِّ كتابٍ؛ فقد ألَّفَ الشَّيخُ الخُضَرِيُّ كتابه الأول في المنصورة، ولم تكن علاقته قد توطَّدت مع الإصلاحيين، ولذا أورد عددًا من المعجزات؛ كشَقِّ الصَّدْرِ، والإسْراءِ، وانشقاقِ القمرِ.. بل إنه قد أورد جُمْلَةً منها في آخر كتابه. أمَّا كتاب الشَّيخ الخضَرِيِّ الثَّاني، فَقَدْ أَلَّفَهُ عندما انتقل إلى القاهرة وأصبح مُدَرِّسًا للتَّاريخِ الإسلاميِّ، وقد تَوثَّقَتْ صِلاتُهُ بالشَّيخِ محمد عبده وغيره من رُوَّادِ المدرسة الإصلاحيَّةِ، ومن ثَمَّ لم يُشِرْ في ذلك الكتاب إلى عددٍ من المعجزاتِ النَّبويَّةِ؛ كحادث الفيل، وشَقِّ الصَّدْرِ، ومعجزاتِ الهِجْرَة١١٩.

وأمَّا زَعْمُ الخُضَرِيِّ بأنَّ الإسراءَ كان بالرُّوحِ لا بالجَسَدِ، فهو مُخالفٌ لما عليه جمهور السَّلَّفِ والخَلَفِ من أنَّ الإسراءَ كان بِبَدَنِهِ وروحِهِ- صلَّى الله عليه وسلَّم- قال القاضي عيَّاض- بعد أن ساق مقالات أهل العِلْمِ في ذلك- :"والحَقُّ مِنْ هذا والصَّحيحُ إنْ شاء اللهُ- تعالى- أنه إسراءٌ بالجَسَدِ والرُّوحِ في القصَّةِ كلها، وعليه تَدُلُّ الآيةُ وصحيحُ الأخبارِ والاعْتِبار، ولا يُعْدَلُ عن الظَّاهرِ والحقيقةِ إلى التأويل إلا عند الاستحالةِ، وليس في الإسراء بجسدهِ وحالِ يَقَظَتِهِ استحالة؛ إذ لوكان منامًا لقال:(بِروحِ عَبْدِهِ) ولم يقل:(بِعَبْدِهِ)، ولَمَا قَال:{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}[١٢٠]،إذ لوكان منامًا؛ لقال بروحِ عبدهِ ولم يقل بعبدهِ وقولهُ تعالى: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طغى}، ولوكان منامًا لَمَا كانت فِيه آيةٌ ولا مُعْجِزَةٌ، ولَمَا استبعدهُ الكُفَّارُ ولا كذَّبوه فيه، ولا ارتدَّ به ضُعَفَاءُ مَنْ أسلم وافتتنوا به؛ إذ مِثْلُ هذا من المنامات لا يُنْكَر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خَبَرَهُ إنما

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

كان عن جسمه وحال يقظتهِ"١٢١، ثم إنَّ ظاهِرَ السِّياقاتِ يَدلُّ على ذلك من ركوبه وصعودهِ في المعراجِ..وغير ذلك، ولهذا قال عَزَّ وجَلَّ:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا}١٢٢.

هذا، وقد أكَّدَ ابن كثير في كتابه (السِّيرَةُ النَّبويَّة) على كون رحلة الإسراء والمعراج كانت بالجَسَدِ والرُّوحِ معًا، وقد ذكر ابن كثير أنَّ ذلك رَأْيُ الجمهور؛ وذلك كان فيما نصُّه: "قال اللَّهُ تعالى:{ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً للنَّاس}؛ أي: اختبارًا لهم وامتحانًا. قال ابن عبَّاس: هي رؤيا عَيْنٍ أُرِيها رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهذا مذهبُ جمهور السَّلفِ والخَلَفِ، من أن الإسراءَ كان بِبَدَنِهِ ورُوحِهِ صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليه، كما دَلَّ على ذلك ظاهرُ السِّياقاتِ من ركوبه وصعودهِ في المعراجِ وغير ذلك. ولهذا قال:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ}. وَالتَّسْبِيحُ إِنَّمَا يَكُونُ عَنْدَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الْخَارِقَةِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ، وَالْعَبْدُ عِبَارَةٌ عَنْهُمَا. وَأَيْضًا فَلَوكَانَ مَنَامًا لَمَا بَادَرَ كَفَّارُ قُرَيْشٍ إِلَى التَّكْذِيبِ بِهِ وَالِاسْتِبْعَادِ لَهُ، إِذْ لَيْسَ فِي ذَلِكَ كَبِيرُ أَمْرٍ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ أَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ يَقَظَةً لَا مَنَامًا."١٢٣

هذا هو الرأيُ الصَّحيحُ؛ لِكَوْنِهِ يتوافقُ وظاهِرَ ألفاظِ الحكايةِ القرآنيَّةِ، وإلا لَمَا كان في الأمر تَحَدٍّ لوكان النَّبيُّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- أَخْبَرَ القصَّةَ باعتبارها مَنامًا، ولَمَا أَنْكَرَ عليه المنكرون وقتئذٍ قِصَّتهُ، والتي أوردَ على صحَّتها الأدلَّةَ التي أخرستهُم .

وبالنَّظر إلى موقف محمد حسين هيكل من قصَّةِ الإسراءِ والمعراجِ، نجدُ أنَّهُ قد ساق هذه القصَّةَ من رواية المستشرق درمنغم– كما قال هيكل نفسه– تلك الرِّواية التي استخلصها من كُتُبِ السِّيرةِ. ولولَزِمْنَا المنهجَ العلميَّ للتَّحقيقِ في الأمر لوجدنا أنه كان يلزم لهيكل الرُّجوع إلى كُتُبِ الحديثِ والسِّيرةِ التي تروي هذه الحادثة لا إلى كُتُبِ المسْتَشْرِقين، لكنه للأسف لا يطمئنُّ إلى تلك الكُتُبِ إلا بِقَدْرِ ما ينقل عنها هؤلاء مع العِلْمِ بِكونهِمْ أعاجِمًا دُخَلاء على لُغَتِنا العربيَّةِ قبل ولوجِهِمْ للحديثِ عن الكُتُبِ المتخصِّصةِ في كلِّ فرعٍ من فروعِ ثقافتنا العربيَّةِ والإسلاميَّة .

وبالرجوع إلى موقف هيكل من مُعْجزةِ الإسراءِ والمعراجِ نجد أنه قد خالف الحكاية الواضحةُ معالِمُها بألفاظها المباشرة في القرآن، ونجد أنه قد تجاوزها إلى تأويلاتٍ بعيدةٍ ليس عليها دليلٌ دَامِغٌ منْ أَثَرٍ أو شَرْحٍ منْ مُخْتَصٍّ في السِّيرةِ النَّبويَّةِ الشَّريفةِ؛ ويظهر ذلك حيث يقول هيكل:"فهذا الرُّوح القَويُّ قد اجتمعت فيه في ساعة الإسراءِ والمعْراجِ وَحْدَةُ هذا الوجود بالِغَةٌ غَايَةَ كَمَالِهَا..تداعتْ في هذه السَّاعةِ كُلُّ الحدودِ أمام بصيرة محمد، واجتمع الكونُ كُلُّهُ في رُوحِهِ، فوعاهُ منذُ أَزَلِهِ إلى أَبَدِهِ. والإسراءُ بالرُّوحِ هو في معنْاهُ كالإسراءِ والمعراجِ بالرُّوحِ جميعًا سُمُوًّا وجلالاً وجمالاً، فهو تصويرٌ قويٌّ للوَحْدَةِ الرُّوحِيَّةِ من أَزَلِ الوجودِ إلى أَبَدِهِ."١٢٤

ويظهرُ لنا أنَّ هيكل قد تَأول هذه المعجزةَ على أنَّها إسراءٌ بالرُّوحِ فَحَسْب، ولو أنَّهُ وَقَفَ عند هذا الحدِّ لَهَانَ الأمْرُ، لكن أن يتأولها بِوَحْدَةِ الوجودِ، فهذا غايةُ الضَّلالِ ومُنْتَهَى الخَبَال. وفي ذلك يقول الشَّيخُ مصطفى صبري:"وإنّي جَدُّ مُتَعَجِّبٌ من أنَّ كاتبًا كبيرًا في طليعة الأُدَباءِ والعُقَلاءِ في مِصر مثل الدكتور

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

هيكل باشا يَأْبَى عَقْلُهُ أنْ يُؤمِن بمُعْجِزاتِ أنبياءِ اللهِ الكَونِيَّةِ فَيُنْكِرُها، في حينِ أنه يَقْبَلُ خُرَافَةَ الوجودِ المستحيلة حتى يُفَسِّر بها مُعْجِزَةَ الإسْراءِ، ومعناهُ أنه لا يُؤمِنُ بالمُعجزةِ حالة كونها مُمْكِنَة، ويؤمنُ بها عند تصويرها في صُورَةِ المحَالِ."١٢٥

ولعلَّ موقفَ هيكل الرَّافض لمعجزة الإسراءِ بالنَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّمَ- برُوحِهِ وجَسَدِهِ يُثْبِتُ لنا تَعَنْتًا، وجَهْلاً، ومُخالفةً منهُ لِروحِ التَّطَوُّرِ العِلْمِيِّ الرَّهيبِ؛ ذلك التَّطور الذي يُنادي به هيكل وأساتذته من الغربيين، خاصَّةً بعد ما كان من غَزْوللفضاءِ، وتَفْتيتٍ للذَّرَّةِ ، وكذا تحويلِ المادَّةِ إلى طاقةٍ، وتحويلِ الطَّاقةِ إلى مادَّةٍ، وهي إنجازات من شأنها أن تشهد على حقيقةِ مُعجزاتِ النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم. وإذا كُنَّا نُسَلِّم اليوم بارتيادِ الإنسانِ للفضاءِ مع ضَعْفِهِ وجهلِهِ وقُصورِهِ، فكيف نَسْتَبْعِدُ على اللهِ- عَزَّ وجَلَّ- بعد إقرارنا بعلمه وقُدْرتِهِ، أن يُسْرِي بنبيِّهِ محمد- صلَّى الله عليه وسلَّم- ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى، ويَعْرُجُ به إلى السماواتِ العُلَى؟ إنَّ التَّسليمَ بالأول واستِبعادَ الثَّاني لَيُعَدُّ دليلاً على جهل الإنسانِ بِرَبِّهِ، وعدمِ إدراكِهِ لِطلاقةِ القُدْرَةِ الإلهِيَّةِ١٢٦؛ يقول تعالى:{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ والْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ والسماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}١٢٧.

٢- مُعْجِزَةُ انْشِقاقِ القَمَر:

وهي مُعجزةٌ ثابتةٌ بِنَصِّ القُرآنِ، وبِنَصِّ الأحاديثِ الصَّحيحةِ؛ أمَّا القرآنُ؛ فحيث قوله تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ}١٢٨، وأمَّا الأحاديثُ؛ فقد صَحَّتْ عند الشَّيخينِ من حديث عبد الله بن مسعود١٢٩، وأنس بن مالك١٣٠، وعبد الله بن عبَّاس١٣١، ومن حديث عبد الله بن عمر عند مُسْلِم والتِّرمِذِيِّ وغيرهما ١٣٢.

"وقد أَنكَرَ جمهور الفلاسفةِ انشقاقَ القمرِ مُتمسِّكينَ بأنَّ الآياتِ العُلويَّةَ لا يتهيَّأُ فيها الانخراقُ والالتِئامُ وكذا قالوا في فَتْحِ أبوابِ السَّماءِ ليلة الإسراءِ إلى غير ذلك من إنكارِهم ما يكونُ يوم القيامةِ من تكويرِ الشَّمسِ، وغير ذلك.وجوابُ هؤلاءِ إنْ كانوا كُفَّارًا أنْ يُناظَرُوا أولا على ثُبُوتِ دِينِ الإسلامِ، ثُمَّ يُشْرَكوا مع غيرِهم ممَّنْ أنكروا ذلك من المسلمين. ومتى سَلَّمَ الْمُسْلِمُ ببعض ذلك دون بعضٍ أُلْزِمَ التَّنَاقُضَ. ولا سبيل إلى إنكارِ ما أُثْبِتَ في القُرآنِ من الانخِرَاقِ والالتِئامِ فِي القيامة، فيستَلْزِمُ جواز وقوعِ ذلك مُعْجِزَةً لِنَبِيِّ اللَّهِ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وقد أجاب القدماءُ عن ذلك؛ فقال أبوإسحاق الزَّجَّاجُ في (معاني القُرآنِ): أنكَرَ بعضُ الْمُبْتَدِعَةِ الْمُوافقين لِمُخالِفي الْمِلَّةِ انشقاقَ القمرِ، ولا إنكار للعقلِ فيه؛ لأنَّ القمرَ مَخْلُوقٌ للَّهِ يَفْعَلُ فيه ما يشاءُ كما يُكَوِّرُهُ يومَ البَعْثِ ويُفْنِيه."١٣٣

وفي العصرِ الحديثِ أنكرَ بعضُ رُوَّادِ الْمَدْرَسَةِ العقليَّةِ الحديثةِ هذه الْمُعجزةِ؛ مُسايرةً منهم لِنَهْجِهِم الغريب في إنكارِ العديدِ من المعجزاتِ، وكان في مُقدِّمَةِ هؤلاءِ العقلانيين الشَّيخُ رشيد رضا؛ والذي شَكَّكَ في تواترِ رواياتِ حادثةِ انشقاقِ القمرِ، واعتبر القول به زَعْمًا باطلاً، وأنَّهُ لووقع لتوفَّرت الدَّواعي على نقلهِ بالتَّواتُرِ لِشِدَّةِ غرابتهِ، ولنَقَلَهُ جميعُ من شاهدَهُ ١٣٤.

وقد ردَّ رشيد رضا روايةَ الشَّيخينِ والتي أقرَّتْ بانشقاقِ القمرِ في عهدِ النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- بدعوى أنَّ حديثَ أَنَس وابن عبَّاس من مراسيلِ الصَّحابةِ، وأنَّ حديثَ ابن عمر ليس فيه أنَّهُ حَدَّثَ عن رُؤيةٍ، ثُمَّ لاخْتلافِ هذه الرِّواياتِ وتَعَذُّرِ الجَمْعَ بينها١٣٥، وذلك فضلاً عمَّا فيها من خَبَرٍ بوقوعِ تَغَيُّرٍ في النِّظامِ الكونيِّ العام، وهو ما لا يُصَدَّقُ إلا بِخَبَرٍ قَطعيٍّ ثابتٍ١٣٦، كما أنَّ الموقفَ

القُرآنيَّ من عدم إجابةِ الكُفارِ إلى ما طالبوا به من الآياتِ يَرُدُّ حديثَ أَنَس الذي فيه أنَّ هذه المعجزةَ وقعت جوابًا على سؤالِ المشركين١٣٧.

هذه جُمْلَةُ الدَّعاوى التي استَنَدَ إليها رشيد رضا لإنكارِ مُعجزةِ انشقاقِ القمرِ في عَهْدِ النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وقد شاركهُ القول في عدم تواتُرِها الشَّيخُ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره؛ ذلك الأخير الذي زعم أنَّهُ ما ادَّعَى أحدٌ من المسلمين تواترها إلا من شذَّ!، وقال:"إنَّ انشقاقَ القمرِ من الأحداثِ الكَوْنِيَّةِ الهامَّةِ التي لوحصلت لرآها من النَّاسِ من لا يُحصَى كَثْرَةً، من العرب وغيرِهِم، ولَبَلَغَ حدًّا لا يُمَكِّن أحَدًا أنْ يُنكِرَهُ، وصار من المحسوساتِ التي لا تُدْفَعُ، ولصار من المعجزاتِ التي لا يَسَعُ مُسْلِمًا ولا غيرهُ إنكارها."١٣٨

وبالحديث عن تواتُرِ هذه المعجزةِ الباهرةِ، نجدُ أنَّ جمهور العلماءِ قديمًا وحديثًا قد أقرُّوا به؛ قال القاضي عَيَّاض:" أمَّا انشقاقُ القمرِ فالقرآنُ نَصَّ بوقوعِهِ وأخْبَرَ عن وجودِهِ ولا يُعْدَلُ عن ظاهِرٍ إلا بدليلٍ، وجاء برَفْعِ احتمالِهِ صحيحُ الأخبارِ من طُرُقٍ كثيرةٍ، ولا يُوهِنُ عزمنا خلاف أخرق مُنحَلَّ عرى الدِّينِ ولا يُلْتَفَتُ إلى سخافةِ مُبْتَدِعٍ يُلقِي الشَّكَّ على قلوبِ ضُعفاءِ المؤمنين بل نُرْغِمُ بهذا أنْفَهُ ونَنْبُذُ بالعراءِ سُخْفَهُ"١٣٩، وقال أيضًا:" أَخْبَرَ تعالى بوقوعِ انشِقَاقِهِ بلفظِ الماضي وإعراضِ الكَفَرَةِ عن آياتهِ وأجمعَ المفَسِّرون وأهلُ السُّنَّةِ على وقوعِهِ."١٤٠

وقال ابن كثير: "وقد اتَّفق العلماءُ مع بَقِيَّةِ الأئمَّةِ على أنَّ انشقاقَ القمرِ كان في عهدِ رسولِ اللَّهِ- صلَّى اللَّه عليه وسلَّم- وقد وردت الأحاديثُ بذلك من طُرُقٍ تُفِيدُ القَطْعَ عند الأُمَّة."١٤١

وممن نَصُّوا على تواتُرِ حديثِ انشقاقِ القمرِ من المتأخِّرينَ كان الإمامُ الشَّوكانيُّ؛ وذلك حيث قال: "الانشِقاقُ الواقعُ في أيَّامِ النُّبُوَّةِ مُعجزَةٌ لرسُولِ اللَّهِ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وإلى هذا ذهب الجمهور من السَّلفِ والخلفِ. قال الواحديُّ: وجماعةُ المفسِّرين على هذا إلا ما روى عثمانُ بن عطاء عن أبيه أنَّهُ قال: المعنى سَيَنْشَقُّ الْقَمَرُ، والعُلماءُ كُلُّهُم على خِلافِهِ. قاَ: وإنَّما ذَكَرَ اقترابَ السَّاعةِ مع انشقاقِ القمرِ؛ لأنَّ انشقاقَهُ من علاماتِ نُبُوَّةِ مُحَمَّد."١٤٢

ومن أولئك المحقِّقين الذين نَصُّوا على تواترِ حديثِ انشقاقِ القمرِ كانَ محمد بن جعفر الكِتَّانيُّ؛ وذلك حيث قال: "قال التَّاجُ ابن السُّبكي في شرحهِ لمختصرِ ابن الحاجب: الأصليُّ الصَّحيحُ عندي أنَّ انشقاقَ القمرِ مُتواترٌ منصوصٌ عليه في القرآنِ، مَرْويٌّ في الصَّحيحينِ وغيرِهما من طُرُقٍ من حديث شُعْبَة، عن سليمان بن مهران، عن إبراهيم، عن أبي مُعمر، عن ابن مسعود، ثُمَّ قال: وله طُرُقٌ أخرى شتَّى، بحَيْثُ لا يُمْتَرَي في تواترِهِ. وقال في الشِّفا بعد ما ذَكَرَ أنَّ كثيرًا من الآياتِ المأثورة عنه- صلَّى الله عليه وسلَّم- معلومةٌ بالقَطْعِ..أمَّا انشقاقُ القمرِ، فالقرآنُ نَصَّ بوقوعهِ، وأخبَرَ بوجودِهِ، ولا يُعْدَلُ عن ظاهرٍ إلا بدليلٍ، وجاء بِرَفْعِ احتمالِهِ صحيحُ الأخبارِ من طُرُقٍ كثيرةٍ، فلا يُوهِنُ عَزْمَنا خِلافُ أخْرَقٍ مُنْحَلٍّ عَرِيٍّ الدِّينِ،ولا يُلْتَفَتُ إلى سخافةِ مُبْتَدِعٍ يُلقي الشَّكَّ في قلوبِ الضُّعفاءِ المؤمنين،بل نُرْغِمُ بهذا أنْفَهُ، ونَنْبُذُ بالعَراءِ سُخْفُهُ."١٤٣

من خلال ما سبق يَحِقُّ لنا أن نتساءل مُسْتَنْكِرينَ: كيف يكونُ القوْلُ بتواتُرِ القولِ بانشقاقِ القمرِ على عهدِ رسولِ اللهِ- صلَّى الله عليه وسلَّم- زَعْمًا باطلاً كما يَدَّعي رشيد رضا ؟ ألا إنَّ ما زعمهُ هو الباطِلُ حقًّا. وكيف يَزْعُمُ الشَّيخُ

المراغِيُّ أنَّهُ ما ادَّعى أَحَدٌ من المسلمين تواتُرِ أخبارِ وقوعِ تلكَ المعجزةِ النَّبَويَّةِ إلا مَنْ شَذَّ ؟ فقولُ المراغيِّ هو الشُّذوذُ بعينِهِ!

وأمَّا ما استندوا إليه لِنَفْيِ تواتُرِ أخبارِ تلك المعجزةِ بأنَّه لووقع لرآهُ من النَّاسِ من لا يُحْصَى من العربِ وغيرِهِم، ولَبَلَغَ حدًّا لا يُمْكِن إنكاره، ولَنَقَلَهُ جميعُ من شاهدَهُ، فقد أَحْسَنَ في الرَّدِّ على ذلك ثُلَّةٌ من العلماءِ أَحْكَموا الاستدلالَ له؛ وكان من بين هؤلاء أبوإسحاق الزَّجَّاج في كتابه (معاني القُرآن)؛ وذلك حيث قال:" أَنْكَرَ بعضُ الْمُبْتَدِعَةِ الْمُوافقين لِمُخَالِفِي الْمِلَّةِ انشقاقَ القمرِ ولا إنكارَ للعَقْلِ فِيه؛ لأنَّ القمَرَ مخلوقٌ للَّهِ، يَفعَلُ فيه ما يشاءُ كما يُكَوِّرُهُ يوم البعْثِ ويُفْنِيهِ. وأمَّا قَوْلُ بعضِهِم: لووَقَعَ لجاء مُتواترًا واشتركَ أهلُ الأرضِ في معرفتِهِ ولَمَا اخْتُصَّ بها أهلُ مكَّةَ ، فجوابُهُ أنَّ ذلك وقَعَ ليلًا وأكثرُ النَّاسِ نيامٌ والأبوابُ مُغَلَّقَةٌ، وقَلَّ مَنْ يُراصِدُ السَّماءَ إلا النَّادِرَ وقد يقعُ بالمشاهدةِ في العادةِ أن يَنْكَسِفَ القمرُ وتبدوالكواكِبُ العِظامُ، وغيرُ ذلك في الليلِ ولا يشاهدُهَا إلا الآحادُ، فكذلك الانشقاقُ كان آيةً وَقَعَت في الليل لِقَوْمٍ سألوا واقترحوا فَلَمْ يتأهَّبْ غيرُهُم لها، ويَحْتَمِلُ أن يكون القمرُ لَيْلَتَئِذٍ كان في بعضِ المنازل التي تَظْهَرُ لبعضِ أهلِ الآفاقِ دون بعضٍ، كما يظهرُ الكُسُوفُ لِقَوْمٍ دُونَ قوْمٍ."١٤٤

وبنحوهذا قال القاضي عيَّاض، وزاد:" وكثيرًا ما يُحَدِّثُ الثِّقاتُ بعجائبٍ يشاهدونها من أنوارٍ، ونجومٍ، وطوالِع عِظامٍ، تَظهَرُ في الأحيانِ بالليلِ في السَّماءِ، ولا علمَ عند أحدٍ بها."١٤٥

وأمَّا رَدُّ رواياتِهِ بدعوى أنَّها من مراسيلِ الصَّحابةِ، وأنَّ رواتها لم تحصل لهم رؤية هذا الانشقاق باستثناء عبد الله بن مسعود، فليس على إطلاقِهِ؛ لأنَّ من

رُواتِهِ: جُبَيْر بن مُطْعَم١٤٦، وحُذَيْفَةَ بن اليَمَان١٤٧، وقد حَصَلَتْ لهم المشاهدَةُ كما حَصَلَت لعبد الله بن مسعود ١٤٨.

وأمَّا الدَّعوى بأنَّ هذا ممَّا لا يُصَدَّقُ إلا بخَبَرٍ قَطْعيٍّ ثابتٍ؛ إذ فيه خَبَرٌ بوقوعِ تَغَيُّرٍ في النِّظامِ الكونيِّ العام، فأيُّ خَبَرٍ أَقطَع من القرآن وقد أخبرَ بوقوعِهِ ؟ وقد تواترت على ذلك الأحاديثُ عند الشَّيخين وغيرهما، وقد أجمعَ عليه علماءُ الأُمَّةِ سلفًا وخلفًا. ألا يكفي هذا كلُّهُ لإفادةِ القَطْعِ واليقينِ ؟!.

ومن الذين أنكَروا أيضًا مُعجِزَةَ انشقاقِ القمرِ، كان الشَّيخُ محمد عَزَّة دَروزَة؛ وقد كان مستندُهُ في ذلك: الموقفُ السَّلبيُّ للقُرآنِ إزاء تحدِّي الكفَّارِ؛ أي: عدم إجابةِ القرآنِ بعد مطالبة الكفَّارِ بالآياتِ. وقد رَدَّ دَروزَة ما رواه كثيرٌ من الْمُفسِّرين من أنَّ هذه المعجزةَ وقعت جوابًا على تحدِّي الكُفَّارِ، كما رَدَّ ما ذهب إليه جمهورهُم من كونِ الآيات الأولى من (سُورةِ القَمَر) تُشيرُ إلى هذه المعجزةِ، وذلك لأمريْنِ: أولهما:كون السُّورَةُ من المبكِراتِ الأولى للنُّزولِ، وثانيهما: إنَّ القرآنَ لم يَحْكِ في السُّوَرِ النَّازِلَةِ قبلها عن الكُفَّارِ تَحَدٍّ أو طلبٍ بإتيانِ مُعجِزةٍ تدُلُّ على نُبُوَّةِ محمد.

هذا، وقد رَجَّحَ دروزة ما ذهب إليه بعضُ المفسِّرين من حَمْلِ قَوْلِهِ تعالى:{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ}١٤٩ على معنى أنَّه مُقْتَرِب؛ أي أنَّهُ من أشراط السَّاعةِ. وقد اعتبر دروزة هذا المذهبَ وجيهًا ومُنْسَجِمًا مع الموقف السَّلبي للقرآنِ الكريم١٥٠.

أمَّا دعوى أنَّ الانشقاقَ لم يكن جوابًا على سؤالِ المشركين فباطلةٌ، والمعتمَدُ ما ورد في الصَّحيحِ؛ فقد أخرج البُخاريُّ من حديث أنس بن مالك "أنَّ أهْلَ مكَّةَ

سألُوا رسُولَ اللَّهِ- صَلَّى الله عليه وسلَّم- أنْ يُرِيَهُمْ آيةً، فأراهُمُ القمرَ شِقَّتَيْنِ، حتَّى رأوا حِراءً بينهُما."١٥١

والحديث صريحٌ في أنَّ انشقاق القمرِ كان جوابًا على تحدِّي الكُفَّارِ. قال ابنُ حجر:" ولم أرَ فِي شيءٍ من طُرُقِهِ أنَّ ذلك كان عَقِبَ سؤالِ المشركين إلا في حديثِ أنس فلعلَّهُ سمعهُ من النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم."١٥٢

وأمَّا ما رَجَّحَهُ دروزة من حَمْلِ بعض المفسِّرين الآيةَ على أنَّه من أشراطِ السَّاعةِ، فمرجوحٌ، والرَّاجحُ ما ذهب إليه الجمهور من وقوعِ الانشقاقِ حقيقةً على عهدِ النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- بدليلِ ما جاء بعد ذلك الوصف؛ حيث قوله تعالى:{وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ويَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ}١٥٣. فظاهرُ المعنى:" أنَّ المرادَ بقولهِ: {وانْشَقَّ الْقَمَر}: وقوعُ انشقاقِهِ؛ لأنَّ الكفَّارَ لا يقولون ذلك يوم القيَامةِ، وإذا تبيَّنَ أنَّ قولَهُم ذلك إنَّما هو في الدُّنيا، تبيَّن وقوعُ الانشقاقِ وأنَّه المرادُ بالآية التي زعموا أنَّها سِحْرٌ."١٥٤

يقول الشَّوكانيُّ :"والحاصلُ أنَّا إذا نظرنا إلى كتابِ اللَّهِ، فقد أخبرنا بأنَّهُ انشقَّ، ولم يخبرنا بأنَّهُ سَيَنْشَقُّ، وإنْ نَظَرنا إلى سُنَّةِ رسولِ اللَّهِ- صلَّى الله عليه وسلَّم- فقد ثَبُتَ في الصَّحيحِ وغيرِهِ من طُرُقٍ مُتواترةٍ أنَّهُ قد كان ذلك في أيَّامِ النُّبُوَّةِ، وإنْ نظرنا إلى أقوال أهل العِلْمِ فقد اتَّفقوا على هذا، ولا يُلتَفَتُ إلى شُذُوذِ من شَذَّ، واستبعادِ من استبعد."١٥٥، ويقول الشَّيخُ مصطفى صبري: "لولم ينشقَّ القمرُ في عصْرِ نبيِّنا ولم يشاهدُهُ أعدَاؤهُ المشركون في مكَّة لَكَذَّبوا مُحمَّدًا- صلَّى الله عليه وسلَّم- في هذه الآية، وصار تكذيبُهُم المُؤدِّي إلى تَبْينِ كَذِبِهِ حادثَةً هامَّةً أدعَى إلى تَنَاقُلِ الألسنَةِ والأقلامِ بها من تَنَاقُلِ حادثَةِ الانشقاقِ نفسها، والتي ربَّما لا يَطَّلِع عليها غير أهلِ مكَّة؛ لإهمال تَرَصُّدِها في وقتها، أو

لِغَيْمٍ يستُرُهَا، أو لحسبانهَا حادثة من الحوادِثِ العجيبة التي تُدْرَكُ أسبابُها، ولا تُضبَطُ في ذلك الحين."١٥٦

٣- مُعْجِزَاتُ الهِجْرَة :

وهذه المعجزاتُ مُتَضَمَّنَةٌ في إخبارِ اللهِ- عزَّ وجلَّ- رسوله- صلَّى الله عليه وسلَّم- بمُؤامرةِ قَتْلِهِ وخروجِهِ على الملأِ الذين تربَّصوا به دون أن يروه، وكذلك قصَّة سُرَاقَة..وغيرِها من المعجزاتِ التي صَاحَبَتْ النَّبيَّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- في هِجرتِهِ من مكَّة إلى المدينة. وهذه المعجزاتُ قد صَحَّ تواتُرُها بِنَقْلِ العُدولِ من السَّلفِ الصَّالِحِ في كُتُبِ الحديثِ والسِّيَرَةِ.

وبالكشفِ عن موقفِ أصحابِ المدرسةِ العَقلِيَّةِ الحديثةِ الرَّافضةِ لقَبولِ كُلِّ ما هو خارِقٌ للعادةِ؛ نجد أنَّهم يرفضون القولَ بِصِحَّةِ معجزاتِ الهِجرةِ؛ ويُمَثِّلُ لهؤلاء عبد الرَّحمن الشَّرقاويُّ في كتابِهِ: (مُحَمَّد رَسولُ الحُرِّيَّة)؛ فقد تغافل فيه عن ذِكْرِ هذه المعجزاتِ، كصنيعِهِ مع غيرها من معجزاتِ الرَّسولِ- صلَّى الله عليه وسلَّم- ولعلَّ ذلك يرجعُ لاهتمامِهِ بالكتابَةِ عن محمد الإنسان، وليس عن محمد النَّبيِّ١٥٧.

وهذا الاتِّجاهُ للشَّرْقاويِّ ظهر لي جليًّا منذ بداية تَصَفُّحي لكِتَابِ (مُحَمَّد رَسولُ الحُرِّيَّة)؛ فقد تَخيَّرَ الشَّرقاويُّ قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ}[١٥٨]،كآيَةٍ افتتاحيَّةٍ للكِتابِ، وكأنَّ الشَّرقاويَّ يحاول تجريد محمد الإنسان من محمد النبي، وهذا المنحى مرفوض من قِبَلِ الشَّرعِ والعقلِ؛ فعلى من يرغب في الحديث عن سيرةِ النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- أن يلتزم بالحديث عن كُلِّ جوانِبِ شخصيَّتِهِ، وكذا بالحديث عن كُلِّ معالم سيرتِهِ في شيءٍ من التَّوازي، حتَّى وإنْ كان الحديثُ

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

عن جانبٍ واحدٍ من جوانبِ شخصيَّتِهِ؛ كالجانبِ الإنسانيِّ بعد اعتبارِهِ عبدًا من عبادِ اللهِ، فقد كان– صلَّى الله عليه وسلَّم– عبدًا نبيًّا يُوحَى إليه من ربِّ العِزَّةِ.

وها هو عبد الرَّحمن الشَّرقاويُّ يتساءل قائلاً: " أين محمد إذًا ؟ كيف خرج ..وإلى أين مضى..أيكون قد تسلَّلَ من كُوَّةٍ في ظَهْرِ بيته..؟ أيكون قد عَبَرَ من سَطْحٍ إلى سَطْحٍ حتَّى هبط بيت أبي بكر ..؟ وكيف عرف ما أعدُّوا له؟ أيكون أَحَدُ الذين اتَّفقوا بالمسجدِ قد رَقَّ لمحمد فأبلغه؟."١٥٩

ولحاجةٍ في نفسهِ يطرحُ الشَّرقاويُّ السُّؤالَ بهذا الشَّكلِ؛ فقد أقصَي عُنْصُرَ الوَحْيِ من حياةِ النَّبيِّ محمد– صلَّى الله عليه وسلَّم– وجعلهُ يتصرَّفُ من عنده كما يتصرَّفُ سائرُ البشرِ، وليس كَنَبِيٍّ يُوحَى إليهِ. وما كان لمحمدٍ– صلَّى الله عليه وسلَّم– وهو بَشَرٌ لا يعلم الغَيْبَ أن يعلم بما يُدَبِّرهُ المشركون، لولا أن أعلَمَهُ اللهُ إيَّاهُ، كما هو صريحُ القرآنِ الكريمِ، حيث قوله تعالى:{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أو يَقْتُلُوكَ أو يُخْرِجُوكَ ويَمْكُرُونَ ويَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}١٦٠.

وعن قصَّةِ سراقة في مطاردتِهِ للنَّبيِّ– صلَّى الله عليه وسلَّم– يقول الشَّرقاويُّ:" وفَرِحَ قائدُ الفُرْسَانِ ..وانْدَفَعَ بِحُصَانِهِ إلى محمد عَبْرَ صُخُورٍ جَرْدَاءٍ وَعِرَةٍ مُنحَدِرًا إلى الأُخْدُودِ ..ولكن الحُصَانَ تَعثَّرَ بِهِ، وأوشَكَ أنْ يَطْرَحهُ على الصُّخورِ، فَيَدُقَّ عَنْقَهُ..وتَشَاءَمَ قَائدُ الفُرْسَانِ.. فَعَادَ مِنْ فَوْرِهِ دُونَ أنْ يُخْبِرَ أحَدًا مِمَّنْ كانوا معهُ بِمَا رَأَى."١٦١ من الوَصْفِ السَّابِقِ يظهرُ لنا كيف حاول الشَّرقاويُّ بِتَعَسُّفٍ تجاهل هذه المعجزة، وكيف جعل الأمرَ يبدو وكأنَّه مجرَّد حصان تَعَثَّرَ، ولا شيء بعد ذلك .

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

وقريبٌ من هذا التَّعَسُّفِ في إنكَارِ المعجزَةِ ذاتِهَا اعْتَبَرَ محمد حسين هيكل الأمرَ مجرَّد إجهادٍ لَحِقَ الفَرَسَ، ونِسيان مِنَ الفارِسِ لما لَحِقَ بِفَرَسِهِ مِنْ إجهادٍ؛ وذلك كان فيما نصُّه: "وكان جوادُ سُرَاقَة قد كبا به قبل ذلك مرَّتين لِشِدَّةِ ما جَهِدَهُ، فلمَّا رأى الفارسُ أَنَّهُ أوشك على النَّجَاحِ، وأَنَّهُ مُدْرِكُ الرَّجُلَيْن، فَرَادُّهُمَا إلى مَكَّةِ، أو قاتِلُهُمَا إن حاولا عن نفسيهما دفاعًا، نَسِيَ كَبْوَتَي جوادِهِ، ولَزَّهُ لِيُمْسِكَ به ساعَةَ الظَفْرِ، لكنَّ الجوادَ في قومتِهِ كبا كبوَةً عنيفَةً ألقى بها الفارِسَ من فوق ظَهْرِهِ يَتَدَحْرَجُ في سِلاحِه."١٦٢

والمؤسِفُ في الأمرِ أن يصْدُرَ إنكارُ ما ثَبُتَ صحَّتُهُ من مُعجزاتِ الهجرةِ وما يماثلها عن عالِمَيْنِ عربِيَّينِ كبيرين قد ذاع صيتُهما في مصر والبلاد العربية؛ فقد ظهر تكلُّفٌ واضحٌ منهما في أثناء سردِهما لتفاصيلِ قِصَّةِ سُراقةِ، كما ظهرت مبالغةٌ مُتَعَمَّدَةٌ منهما في تَنْميقِ الكلامِ في محاولةٍ يائسةٍ منهما للتَّلبيسِ على القارئ وإيهامِهِ أنَّ الأمر في هذه القصَّةِ وأضرابِها لا يعدوما جرت به العادةُ في حياةِ النَّاسِ، وكذا ما أَلِفَهُ العقلُ، وذلك في محاولاتٍ فاشلةٍ لإنكارِ صِحَّةِ وقوعِ المعجزاتِ النَّبويَّةِ، حتى لوورد ذِكرٌ صريحٌ لِبَعْضِ تِلْكَ المعْجِزَاتِ في القُرْآنِ الكَرِيمِ، وصَحَّتْ بِهِ الأحَاديثُ؛ أَلَمْ يَقُلْ سُرَاقَةُ- بَعَدْ أنْ حَكَىَ محاولتَهُ اليَائِسَةَ في اللحَاقِ بِالنَّبيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ: ".. ووَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ "١٦٣. لَقَدْ أَيْقَنَ سُرَاقَةُ بَعْدَمَا لَقِيَ مَا لَقِيَ أَنَّ في الأمْرِ سِرًّا، وأَنَّ ذَلِكَ السِّرَّ فَوْقَ طَاقَةِ البَشَرِ، وأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الذي يُطَارِدُهُ لَيْسَ بَشَرًا عَادِيًّا، بَلْ هو رَسُولُ اللهِ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وأَنَّهُ لَنْ يَسْتَطيعَ الاقْترابَ مِنْهُ إنْ كَانَ يُرِيد بِهِ شِرًّا، فَلَمْ يَتَمَالَكَ

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

أنْ نَادَى بِالأمَانِ. وليْسَ لنا إلا أنْ نَقول: أَفَيكونُ عَبْدُ الرَّحْمَن الشَّرقاوي ومُحَمَّد حُسَيْن هِيكل وأضْرَابُهُمَا أدْرَىَ بأمْرِ سُرَاقَةِ مِنْ سُرَاقَةِ نَفْسِهِ ؟!.

تِلكُمْ كانت أمثلةً أورَدتُّها للكشفِ عن المواقِفِ المتباينَةِ لكُتَّابِ السِّيرةِ المعاصرينَ من أصحابِ المدرسةِ العَقْلِيَّةِ من المعجزاتِ النَّبويَّةِ، وهي مواقِفٌ تُعَبِّرُ عن ضَعْفِ الإيمانِ وجَهْلٍ بالدِّينِ والنُبُوَّاتِ،كما تُعَبِّرُ عن مشاعِرِ انهزامِيَّةٍ يُؤسَفُ لحالها، وكذا تُعَبِّرُ عن انصياعٍ من جانِبِ كُتَّابِ السِّيرَةِ العربِ المعاصرين من أصحابِ المدرسةِ العَقْلِيَّةِ بِمَذَلَّةٍ للعَقليَّةِ الغربيَّةِ، تلك العَقْليَّةِ التي تحتاجُ لِمُرْشِدٍ لها من أبناءِ اللغةِ العربيَّةِ يُعَلِّمُهَا ويُوجِّهُها؛ لأنَّ أبناءَ اللغةِ أدرى بمناحيها، وطُرُقِهَا، وسُبُلِ البحثِ فيها، وسُبُلِ البحثِ في العلومِ المتَّصِلَةِ بها من قريبٍ أو من بعيدٍ . وما كان من إنكارٍ للمُعجِزَاتِ بدعوى خروجها عن المألوفِ، أو كونها لا تتَّفقُ والمعقول، أمرٌ غير منطقي؛ لأنَّ المعجزَةَ أصلاً ما سُمِّيَت كذلكَ إلا لخروجها عن المألوف وعدم خُضوعها لمقاييسِ العقلِ.

أخيرًا أقولُ: إن المُنْكِرَ لِمُعْجِزَةٍ من مُعجِزَاتِ نبينا محمد– صلَّى الله عليه وسلَّم – لِغَرَابَتِهَا أو لِتَخَطِّيهَا قدرات البشر وحدود مداركهم خَلِيقٌ به إنكار الوحي المنَزَّل عليه– صلَّى الله عليه وسلَّم – مِنْ لَدُن ربٍّ ؛ لكوْنِهِ أكثر غرابةً وشُذوذًا عن المألوف. وما قبول بعض المعجزات دونَ غيرها سوى مخالفةً يُظْهِرُهَا إمَّا الجاهلون الذين لم يتمعَّنوا في دراسة السِّيرة النَّبويَّة الشَّريفة بعد الاعتماد على المصادر الموثوقة والتي أقرَّهَا ثِقاتُ علماء المسلمين،وإمَّا الجاحدون على الدِّينِ الإسلاميِّ من المستشرقين وأتباعهم من العَرَبِ المعادين للدِّين الإسلاميِّ؛ أولئك الذين يريدون هَدْمَ الدِّينِ الإسلاميِّ بعد ادعائهم الرغبة في دراسته بما يَخْدُمُ طَلَبَةَ العِلْمِ المهتَّمينَ بميدان علوم الشَّريعة وما يتفرَّعُ منها. وهذا الصِنْفُ الأخير خَطَرُهُ

(موقف الكتاب المعاصرين من السيرة النبوية الشريفة...) د. أحمد وفيق السيد شاهين.

أَشَدُّ وَطْأَةً على الدِّينِ الإسلاميِّ؛ لأنهم يَحْرِصونَ على عَرْضِ آرائهِم الهَدَّامَةِ في مؤلَّفَاتهم بعد وَضْعِها في قوالب لُغَويَّةٍ وسياقاتٍ بلاغيَّةٍ، وبعد تحليتها بألفاظٍ دينيَّةٍ مِنْ شأنها إحداث آثارٍ مُدَمِّرَةٍ مقصودةٍ في نفوس المسلمين، وخاصَّة في نفوس العوام منهم، وذلك إضافة إلى حِرْصِهِم على تشكيك الرَّاغبينَ في الدُّخول في الدِّين الإسلاميِّ في مُقوِّمات بِنائِهِ بتحويل أنظارهم عن كل ما صَحَّ سَنَدُهُ وثَبُتَ نَقْلُهُ؛ وذلك لإبعادهم عن الدِّينِ الإسلاميِّ بِكُلِّ ما تَيَسَّرَ من وسائل جعلوا العَقْلَ فيها هو المُوَجِّه الوحيد والمرشد الذي تستحيل مخالفته.

*** **الخَاتِمَةُ :**

يُمْكِنُ أن نَخْلُص من هذه الدِّراسة إلى مجموعة من الملاحظات، لعلَّ أهمها:

١- إن الكتابات العربيَّة المعاصرة في السِّيرة النَّبويَّة الشَّريفة قد تَوَزَّعَتْها اتِّجاهاتٌ شتَّى، وقد حاول كل اتِّجَاه توظيف السِّيرة النَّبويَّة لخدمة أغراضه وأهدافه. وهذه الكتابات لا تزال بحاجة إلى مزيد من الاهتمام من قِبَلِ الباحثين والدَّارسين؛ تحليلاً ونقدًا؛ وذلك لبيان ما لها وما عليها، بِغَرَضِ خدمة السِّيرةِ النَّبويَّةِ وبيان ما فيها من حَقٍّ غاب عن غير المُتَفَقِّهينَ في الدِّين.

٢-اقتصرت دراستي هذه على ثلاثٍ من القضايا التي ظهرت واضحةً في الكتابات العربيَّة المعاصرة في السِّيرة النَّبويَّة، وقد اشتركت تلك القضايا فيما بينها في بعض الجزئيَّات؛ وتلك القضايا هي: التَّشكِيكُ في كُتُبِ الحديث والسِّيرة، وإنكارُ الأحاديثِ الصَّحيحةِ، وإنكارُ المعْجِزاتِ والتَّعَسُّفُ في تأويلها. وقد حأو لتُ قَدْر استطاعتي تَتَبُّعَ تلك القضايا عند أصحابها بإيرادِ أقوالهم، والرَّدِ عليها من غير تطويل.

٣-إن الجهل بحقائقِ الدِّينِ والنُّبوَّاتِ، والانْصِياعَ الذَّليلَ للغَرْبِ ولِمَنَاهِجِ المستشرقين واتِّباع خُطُواتِهِم، هي أبرز العوامل وراء التَّشكيك في جانبٍ كبيرٍ من سيرة النَّبيِّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- وليس غريبًا بعد هذا أن نجد ثُلَّةً من المعاصرين الذين كتبوا في السِّيرةِ النَّبويَّةِ يَلتَقونَ في مثل هذه القضايا على اختلاف توجُّهاتهم، سواءٌ كانت تلك التَّوجُّهاتُ مادِّيَّةً أمْ عَلْمَانِيَّةً أمْ عَقْلانِيَّةً أمْ غيرها. وقد ضرب أصحَابُ المدرسة الإصلاحِيَّةِ أو المدرسة العَقْلِيَّةِ الحديثة بِسَهْمٍ وافِرٍ في هذا الباب، وسَنُّوا سُنَّةً سَيِّئَةً تَبِعَهُم فيها مَنْ جاءوا بعدهم وساروا على نهجِهِم. واللهُ- تعالى- أعلى وأعلم .

الهوامش

[١]- هُناك مجموعةٌ مِنَ العُلمَاء تنأو لوا الحَديثَ عَنْ هَذَا المَوْضوعِ في إشَارَاتٍ مُختَصَرَةٍ ؛ منهم: الدُّكتور مُحَمَّد ياسين مظهر صِدِّيقي في كِتابِهِ (الهَجَماتُ المغرِضَةُ عَلَى التَّاريخِ الإسلاميِّ) تَحتَ عَنْوان: (الاتِّجاهاتُ الجَديدَةُ في كِتابةَ السِّيرةِ والتَّاريخ)، ص ١٨– ٣٧، ترجمة د. سمير عبد الحميد إبراهيم، ط. دار الصَّحْوَةِ، القَاهِرَة، ط١، سنة ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م . كَمَا عَرَضَ الدُّكتور مُحَمَّد سعيد رَمَضَان البُوطي في مُقدِّمَةِ كِتَابِهِ(فِقْهُ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ)، ص٢١–٢٥، ط. دار الفِكْرِ، دِمَشق، ط ٢٥، سَنَة ١٤٢٦هـ . وفي كِتابِهِ: (كُبرَى اليَقينيَّات الكَونيَّة – وُجُودُ الخَالِق وَوَظيفَةُ المِخْلوق)، ص٢٢١–٢٢٨، ط. دار الفِكْرِ المعَاصِرِ، بَيْرُوت– دمشق، ط ٨، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، للحَديثِ عَنْ نَشْأَةِ المدرَسَةِ الجَديدَةِ في كِتابَةِ السِّيرةِ النَّبَويَّة. كَمَا تَحَدَّثَ الدُّكتور فاروق حَمادَة في كِتابِهِ (مصادِرُ السِّيرَةِ النَّبَويَّةِ وتَقويمِها)، عَنْ بَعْضِ الكُتُبِ المعاصِرَةِ في السِّيرَةِ النَّبَويَّةِ، انظر ص١١٠– ١٢٣، ط. دار القَلَم، دِمَشْق، ط ٣، سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. كَمَا كَتَبَ الدُّكتور عبد الرَّزَّاق هِرماس بَحثًا بِعَنْوانِ:(الاتِّجاهاتُ المعاصِرَةُ في كِتابَةِ السِّيرَةِ النَّبَويَّة) بِمَجِلَّةِ الشَّريعةِ والدِّراساتِ الإسلاميَّة، السنة ١٨/ العدد ٥٥/سنة ١٤٢٤ هـ– ٢٠٠٣م.

[٢]- صَدَرَت طَبعَتُهُ الأولى عام ١٩٤٨م عَنْ مَطبَعَةِ الاستِقامَةِ بالقَاهِرَة، وهو كِتَابٌ يَقَعُ في مُجَلَّدَين.

[٣]- انظر دِراسَاتٌ في السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ: مُحَمَّد سُرور بن نايف زين العابدين، ١/٧–٨، ط. مطبعة الاسْتِقَامَةِ، القَاهِرَةُ، ط١، سنة ١٩٤٨م .

[٤]- انظر المرجع السابق: ١/٢٦٥–٢٦٧.

[٥]- الجَامِعُ المسنَدُ الصَّحيحُ المختَصَرُ مِن أُمُورِ رَسُولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَسُنَنِهِ وأيَّامِهِ: أبوعبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبَّة البُخَارِيّ الجَعْفِيّ(ت: ٢٥٦هـ)، كِتَابُ مَنَاقِبُ الأَنْصَارِ، بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وأصْحَابُهُ مِنَ المشركين بِمَكَّة، ٥/٤٥ ، رقم ٣٨٥٤، تَحْقِيق مُحَمَّد زهير بن ناصر النَّاصِر، ط. دار طُوْق النَّجَاةِ، ط١، سنة ١٤٢٢هـ، والمسنَدُ الصَّحيحُ المختَصَرُ بِنَقلِ العَدلِ عَنْ العَدلِ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: مُسلم بن الحَجَّاج أبوالحسن القُشيري النَّيْسَابوريّ (ت:٢٦١هـ)، كِتَابُ الجِهَادِ والسِّيَرِ، بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ أَذَى المشْرِكِين وَالمنَافِقِين، ٣/١٤١٩، رقم ١٧٩٤، تَحْقِيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحْياءِ التُّرَاثِ العَرَبِيِّ، بَيْرُوت، سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.

٦ – سورة العلق: آية ٧ .

٧ – سورة العلق: آية ١٤ .

٨ – سورة العلق: آية ١٧ .

[٩]- صَحِيحُ مُسْلِم: كِتَابُ صِفَاتِ المنَافِقِين وَأَحْكَامِهِم، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى}، ٤/٢١٥٤، رقم ٢٧٩٧.

[١٠]- حَياةُ مُحَمَّد: د. مُحَمَّد حُسَيْن هِيكل، ص ٤٩، ط. مكتبة النَّهْضَةِ المِصْرِيَّةِ، القَاهِرَةُ، ط١٣، سنة ١٩٦٨م

[١١]- المرجع السابق: ص ٥٢ .

[١٢]- انظر نفسه: ص٢١ .

[١٣]- انظر نَفْسُهُ: ص٢٢ .

[١٤]- انظر نَفْسُهُ: ص ٤١ .

[١٥]- انظر نَفْسُهُ : ص٥١ .

[١٦]- انظر أُصولُ الحَديثِ- عُلُومُهُ وَمُصْطَلَحُهُ: مُحَمَّد عَجَّاج بن مُحَمَّد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، ص ١٨٩، ط. دار الفِكْرِ، ط ٣، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥ م .

[١٧]- انظر الرِّسَالَةُ المحَمَّديَّةُ : السَّيْد سُليمان النَّدوي الحُسَيْني(ت:١٣٧٣هـ)، ص٦٨-٦٩، ط.دار ابن كثير، دمشق، ط١، سنة١٤٢٣هـ. وانظر تفصيل القَولِ في مَسْأَلَةِ التَّأْرِيخِ لِبِدَايَةِ كِتَابَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ في كِتَابِ(السُّنَّةُ ومَكَانَتُهَا في التَّشريعِ الإسْلامِيِّ) للدكتورِ مُصطَفى السِّباعيِّ، وأيضًا في كِتَاب(عُلومُ الحَديثِ وَمُصْطَلَحه) للدكتورِ صُبحي الصَّالِح .

١٨ _ الرِّسَالَةُ : الإمامُ أبوعَبْدالله مُحَمَّد بن إدريس بن العَبَّاس بن عُثْمان بن شَافِع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبيّ القُرَشِيّ المكِّيّ الشَّافِعِيّ (ت: ٢٠٤هـ)، ص٢٢٢، تَحْقِيق أَحْمَد شاكر، ط.مكتبه الحلبي، مصر، ط١، سنة ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م .

١٩- المصدر السابق : ص٢٢٢ .

[٢٠]- نفسه: ص٢٢٤، الحَاشِيَة .

[٢١]- المعْجَمُ الكَبيرُ : أبوالقاسم سُليمان بن أَحْمَد بن أيوب بن مطير اللخميّ الشَّامِيّ الطَّبَرَانيّ (٢٦٠-٣٦٠هـ)، ٩٧/٢، رقم١٤٢٩، تَحْقِيق حمدى عبدالمجيد سلفى،ط. مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

[٢٢]- ضَعيفُ الجامِعِ الصَّغيرِ وَزِيادَته : أبوعبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودريّ الألبانِيّ (ت: ١٤٢٠هـ)، ١٣٣/١، رقم ٩٣٨، ط. المكتب الإسْلامِيّ، بَيْرُوت، (د.ت) .

[٢٣]- سُورَةُ الحَشْرِ : آية ٧.

[٢٤]- سُورَةُ النِّسَاءِ: آية ٨٠، والإحكامُ في أُصُولِ الأحْكَام : علي بن أَحْمَد بن سعيد بن حَزْم الأندَلُسِيّ القُرطُبِيّ الظَّاهِريّ (ت: ٤٥٦هـ) ، ٧٩/٢، تَحْقِيق أَحْمَد مُحَمَّد شاكر، ط. دار الآفَاقِ الجَديدَةِ، بَيْرُوت، ط٢، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

[٢٥]- الإحْكامُ في أُصُولِ الأحَكَامِ : ابن حَزْم الظَّاهريّ: ٨١/٢.

[٢٦]- حَياةُ مُحَمَّد : د. مُحَمَّد حُسَيْن هِيكل، ص٢٣.

[٢٧]- مَوقِفُ العَقْلِ والعِلْمِ والعَالِمِ مِنْ رَبِّ العَالمين وعِبَادَةِ المرْسَلين : مُصْطَفَى صَبْري، ٨٠/٤ ، و٨٤، ، ط. دارُ إحياءِ التُّراثِ العِربِيِّ، بَيْرُوت، ط٢، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

[٢٨]- انظر المرْجع السَّابق : ٩٢/٤، و١٨٣/٤.

[٢٩]- حَياةُ مُحَمَّد : د. مُحَمَّد حُسَيْن هِيكل، ص٢٠.

[٣٠]- سِيرَةُ المصْطَفَى- نَظْرَةٌ جَديدَةٌ : هاشِم مَعْروف الحُسني، ٣٠٩/٤، و٤٦٢، ط. دار القَلَم، بَيْرُوت، ط١، سنة ١٩٧٥م .

[٣١]- المرْجِعُ السَّابق : ٢٠٦/٤ ،وما بعدها.

[٣٢]- نَفْسُه : ٢١٧/٤.

[٣٣]- تَقْريبُ التَّهذيبِ : أبوالفضل أَحْمَد بن عَلِي بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن حَجَر العَسقلاني(ت:٨٥٢هـ)، ص ٢٦٥، تَحْقِيق مُحَمَّد عَوَّامة، ط. دار الرَّشيد، حلب، سوريا، ط١، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

[٣٤]- المصْدَرُ السَّابق : ٤/ ٢٨٢ .

[٣٥]- الجَامِعُ لأخلاقِ الرَّأو ي وآدابِ السَّامِعِ : أبوبكر أحْمَد بن علي بن ثابت بن أحْمَد بن مهدي الخَطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ)، ١٩٥/٢، تَحْقِيق د. محمود الطَّحَّان، ط. مكتبة المعارف، الرِّياض، سنة ١٤٠٣هـ .

[٣٦]- المِصْدَرُ السَّابِق : ١٦٤/٢ .

[٣٧]- سِيَرُ أعْلامِ النُّبلاء : شَمْسُ الدِّين أبوعَبد الله مُحَمَّد بن أحْمَد بن عُثمان بن قَايْماز الذَّهَبِيّ (ت:٧٤٨هـ)، ٣٦/٧، تَحْقِيق الشَّيخ شُعيب الأرناؤوط وآخَرون، ط. مُؤسَّسة الرِّسَالَةِ، ط٣، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

[٣٨]- عُيونُ الأَثَرِ في فُنونِ المغازي والشَّمَائلِ والسِّيَر: فَتْحُ الدِّين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد، ابن سيد النَّاس، اليَعْمُري الرَّبعي (ت:٧٣٤هـ)، ١١/١، تعليق إبراهيم مُحَمَّد رَمَضَان، ط. دار القَلَم، بَيْرُوت، ط١، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

[٣٩]- السُّنَّةُ ومَكَانَتُهَا في التَّشريعِ الإسْلاميِّ : مُصْطَفَى بن حُسني السِّبَاعي (ت:١٣٨٤هـ)، ص ٢١٣–٢٢٦، ط. المكْتَب الإسلامي، بَيْرُوت، ط٢، ١٣٩٨هـ /١٩٩٠ م .

[٤٠]- انظر دِراسَاتٌ في السِّيرَةِ النَّبَويَّة : د. حُسَيْن مُؤنِس، ص١٢، ط. الزَّهْرَاء للإعْلامِ العَرَبِيِّ، القَاهِرَة، ط٢، سنة ١٩٨٥م .

[٤١]- المرْجِعُ السَّابِق: ص١٢٢.

٤٢- نَفْسُهُ : ص١٢١ .

٤٣- نفسه: ص٢٣٣.

[٤٤]- تَهْذيبُ التَّهذيب : أبوالفَضْل أَحْمَد بن عَلِي بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن حَجَر العَسْقلاني (ت:٨٥٢ هـ)، ٣٦٤/٩ ط. مطبعة دَائرة المعارِف النِّظامِيَّةِ، الهِنْد، ط١، سنة ١٣٢٦هـ . وانظر الضُّعَفَاءُ الصَّغيرُ: أبوعبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغِيرَة البُخاري، (ت:٢٥٦هـ)، ص ١٠٤، تَحْقِيق محمود إبراهيم زايد، ط. دار الوَعْيِ، حَلَب، ط١، سنة ١٣٩٦هـ.

[٤٥]- الضُّعَفَاءُ والمتْروكون : أبوعبد الرَّحْمَن أَحْمَد بن شُعَيْب بن عَلَي الخُرَاساني النَّسَائي (ت:٣٠٣هـ)، ص٩٢، تَحْقِيق محمود إبراهيم زايد، ط. دار الوَعْي، حَلَب، ط١، سنة ١٣٩٦هـ .

[٤٦]- لَخَّصَ ابنُ حَجَرٍ الحُكمَ في الواقِدِيِّ بِقَولِهِ: (مَتروكٌ مَعَ سِعَةِ عِلمِهِ).انظر تَقْريبُ التَّهْذيبِ: ابن حَجَر العَسْقَلانِي، ٤٩٨/١.

[٤٧]- انظر دِراسَاتٌ في السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ : د. حُسَيْن مُؤْنِس، ص٧٩.

[٤٨]- المَرْجِعُ السَّابِقُ : ص١١٨.

[٤٩]- نَفْسُهُ : ص١٢١.

[٥٠]- السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيْحَةُ محاولةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ : د. أَكْرَم ضِياء العُمَرِي، ٤٢/١، ط. مَرْكَز بُحوث السُّنَّةِ والسِّيرَةِ، جَامِعَة قَطَر، سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م .

[٥١]- الشِّفا بِتَعريفِ حُقوقِ المصْطَفى : أبوالفضل القاضي عَيَّاض بن موسى اليَحُصُبي(ت:٥٤٤هـ)، ١٨١/٢، وَبِذَيلِهِ الحَاشية المسَمَّاة مُزيل الخَفاء عَنْ ألفاظِ الشِّفاء، لأَحْمَد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الشُّمنى (ت:٨٧٣هـ) ، ط. دار الفِكْر، بَيْرُوت، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

[٥٢]- انظر الأَعْمَالُ الكَامِلَةُ للإمامِ الشَّيْخِ مُحَمَّد عَبْدُه : تَحْقِيق وتَقْديم د. مُحَمَّد عِمَارة، ٥٤٣/٥-٥٤٦، ط. دار الشُّروق، القَاهِرَة، ط١، سنة ١٩٩٣م. وقَدْ أَيَّدَهُ في هَذِهِ الدَّعوَى الشَّيخُ مُحَمَّد الغَزاليُّ قَائِلاً: "هُنالِكَ قَضَايا لا يَجوزُ فِيهَا التَّسَاهُل لِخُطُورَتِها، وقَدْ شَعُرْتُ بِالغَيْظِ وَالحَرَجِ وأنَا أَقرَأُ أنَّ يَهودِيًّا وَغْدًا سَحَرَ النَّبِيَّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأَعْجَزَهُ عَنْ مُبَاشَرَةِ نِسائِهِ مُدَّة قدَّرَها ابنُ حَجَر سِتَّة شُهو رٍ. أَكَذَلِكَ تُنالُ القِمَمُ ؟ قَالوا: كَمَا يَستَطيع سَفيهٌ أنْ يَخْذِفَهُ بِحَجَرٍ، أو كَمَا يَستَطيع مجرِمٌ أنْ يُصِيبه بِجَرْحٍ! وَهَذَا اعتِذارٌ مَرْفوضٌ؛ فَإنَّ السِّحْرَ تَسُلُّطٌ عَلَى الإرَادَةِ والفِكْرِ، وهَذَا مُسْتَحِيل، لا سِيَّمَا وَالوَسِيلَة تَسْلِيطُ أَرْواح شِرِّيرَة، أو بَعْض الجِنِّ عَلَى الجِهَازِ العَصَبِيِّ للإنْسَانِ، فَيوقِعُهُ في اضْطِرابٍ وَحِيرَةٍ، وقَدْ سَرَّنِي أنَّ الشَّيخَ مُحَمَّد عبده رَفَضَ هَذَا الحَديثَ، وَسَاءَنِي أنَّ الرَّجُلَ الضَّخْمَ هو جِمَ في دِينِهِ لِمِثْلِ هَذَا المَوْقِفِ الغَيورِ!). انظرنَدوَة للغَزَالِيِّ في مُؤْتَمَرِ(السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ ومَنْهَجُهَا في بِنَاءِ المَعْرِفَةِ والحَضَارَةِ)، ٩١١/٢، أَعْمالُ نَدْوةٍ صَدَرَتْ عَنْ المجْمَع المَلَكِيِّ لِبُحوثِ الحَضَارَةِ الإسْلامِيَّةِ، والمعْهَدِ العَالَمِيِّ لِلفِكْرِ الإسْلامِيِّ، عَمَّان، الأُرْدُن، سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

[٥٣]- حياةُ مُحَمَّد: د. مُحَمَّد حُسَيْن هِيكَل، ص ٢٥٠.

[٥٤]- انظر الرَّدَّ بِالأَدِلَّةِ بِاسْتِفَاضَةٍ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ القَوْلَ بِسِحْرِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لادِّعَائِهِم بِتَعارُضِ ذَلِكَ مَعَ تَبْليغِ الرِّسالَةِ وَالشَّرائِعِ المَنَزَّلَةِ مِنْ رَبِّ العِزَّةِ- سُبحَانَهُ وتَعَالَى- في: تأويل مُخْتَلَفِ الحَديث : أبومُحَمَّد عَبْدُ اللهِ بن مُسْلِم بن قُتَيْبَة الدِّينوري (ت: ٢٧٦هـ)، ص٢٦٠-٢٧٠، ط.المكْتَب الإسْلامي- مُؤَسَّسَة الإشراق، بَيْرُوت، ط٢، سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

[٥٥]- دِراسَاتٌ في السِّيرةِ النَّبَوِيَّة: د. حُسَيْن مُؤْنِس، ص٢١٢.

[٥٦]- انظر سِيرَةُ المصْطَفى— نَظرَةٌ جَديدَة: هاشم معروف الحُسني، ص٢٩٠.

[٥٧]- صَحيحُ البُخَارِيِّ : كِتَابُ الطِّبِّ، بَابُ السِّحْر، ١٣٧/٧، رقم ٥٧٦٦ .

[٥٨]- فَتْحُ البَاري- شَرْحُ صَحيحِ البُخَارِيِّ : أبوالفضل أَحْمَد بن عَلِي بن حَجَر العَسْقلانيّ الشَّافِعِيّ،١٠/٢٢٦-٢٢٧، رَقَّمَ كُتُبَهُ وأبْوَابَهُ وأحَاديثَهُ مُحَمَّد فؤاد عَبْد الباقي ط. دار المعْرِفة ، بَيْرُوت، سنة ١٣٧٩هـ .

[٥٩]- الشِّفا بِتَعْرِيفِ حُقوقِ المصْطَفَى : القَاضِي عيَّاض، ١٨١/٢. وانظر المعَنْى- نفسه- في أضْواءِ البَيَانِ في إيضَاحِ القُرْآنِ بِالقُرْآن : مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المخْتَار بن عَبد القادر الجكنيّ الشَّنْقيطِيّ (ت:١٣٩٣هـ)، ٦٠/٤، ط. دار الفِكْرِ للطِّبَاعَةِ والنَّشْرِ والتَّوْزيعِ، بَيْرُوت، لبنان، سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

[٦٠]- فِقهُ السِّيرَةِ : د. مُحَمَّد سعيد رمضان البُوطِيّ، ص٣٤٢.

٦١ سُورَةُ النِّسَاء : آية ٤٣ .

[٦٢]- أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ مِنْ حَديثِ أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ؛ قَال: "خَطَبَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ:إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عَنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عَنْدَ اللَّهِ، فَبَكَى أَبُوبَكْرٍ الصِّدِّيقُ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وبَيْنَ مَا عَنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عَنْدَ اللَّهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو العَبْدَ،وَكَانَ أَبُوبَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُوبَكْرٍ، ولَوكُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، ولَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لا يَبْقَيَنَّ فِي المسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إلا بَابُ أَبِي بَكْرٍ". انظر صَحيحُ البُخَارِيِّ: كِتَابُ الصَّلاةِ، بَابُ الخَوْخَةِ والمَمَرِ في المسْجِدِ،١/١٠٠، رقم ٤٦٦، و٤٦٧ .

[٦٣]- سِيرَةُ الرَّسول- صُورٌ مُقْتَبَسَةٌ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيم : مُحَمَّد عَزَّة دَروزَة، ١/٩٢-٩٣، ط. مَطْبَعة الاسْتِقامَة، القَاهِرَةُ، ط١، سنة ١٩٤٨م .

[٦٤]- فَتْحُ البَارِي : الحَافِظُ ابْنُ حَجَر، ١٤/٧.

[٦٥]- انظر المِصْدَرُ السَّابِقُ : ١٤/٧.

[٦٦]- دِراساتٌ في السِّيرَةِ النَّبَوِيَّة : د. حُسَيْن مُؤنِس، ص٢٢٩.

[٦٧]- انظر صَحيحُ البُخَارِيِّ : كِتَابُ الأَطِعِمَةِ، بَابَ مَا كَانَ النَّبِيُّ وأصَحَابُهُ يَأْكُلون، ٧٥/٧، رقم ٥٤١٤.

[٦٨]- صَحيحُ مُسْلِم : كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، ٢٢٨١/٤، رقم ٢٩٧٠.

[٦٩]- سُورَةُ الأحزاب : آيتا ٢٨-٢٩. وانظرتَفْسيرُ القُرْآنِ العَظيمِ : أبوالفِداء إسماعيل بن عُمَر بن كَثير القُرَشي البَصْري، ثُمَّ الدِّمَشْقِيّ(ت: ٧٧٤هـ)، ٦/٤٠١-٤٠٢، تَحْقِيق سامي بن مُحَمَّد سلامة، ط. دار طيبة للنَّشرِ والتَّوزيع، ط ٢، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م.

[٧٠]- صَحيحُ البُخَارِيِّ : كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ وأصْحَابِهِ وتَخَلِّيهِ عَنْ الدَّنيا، ٩٨/٨، رقم ٦٤٦٠.

[٧١]- فَتْحُ البَاري : ابْنُ حَجَر العَسْقَلانِيّ، ٢٩٣/١١.

[٧٢]- دِراسَاتٌ في السِّيرَةِ النَّبَوِيَّة : د. حُسَيْن مُؤنس، ص٢٠٢.

[٧٣]- صَحِيحُ البُخَارِيِّ : كِتَابُ المغَازِي، بَابُ وَفَاةُ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم، ١٥/٦، رقم ٤٤٦٧.

٧٤ – تأويل مُختَلَفِ الحَديث: ابن قتيبة، ص ٢١.

[٧٥]– المِصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٢١٧–٢٢٠.

[٧٦]– انظر صَحيحُ البُخَارِيِّ : كِتَابُ العِتْقِ، ١٤٨/٣، بَابُ مَنْ مَلَكَ مِنَ العَرَبِ رَقِيقًا، رقم (٢٥٤١)، وَانظرصَحيحُ مُسْلِم : كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ جَوازِ الإغَارَةِ عَلَىَ الكُفَّارِ الَّذين بَلَغَتهُم دَعوَةُ الإسْلامِ مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ الإعْلامِ بِالإغَارَةِ، ١٣٥٦/٣، رقم ١٧٣٠.

[٧٧]– انظر المجْتَمَعُ المدَنِيُّ في عَهْدِ النُّبُوَّةِ، خَصَائِصُهُ وتَنْظيمَاتُهُ الأولى : د. أَكرَمْ ضِياء العُمَري، ص٣٦–٣٧، ط. المجْلِس العِلْمي بِالمدينَةِ المنَوَّرَةِ، ط١، سنة ١٩٨٣م .

[٧٨]– ٢٣– السُّنَّةُ النَّبَويَّةُ بَيْنَ أَهْلِ الفِقْهِ وأهْلِ الحَديثِ : مُحَمَّد الغَزَاليُّ، ص١١٨، تقديم نَصْر الدِّين شريف باعطوة، دار الكِتَابِ اللبْنَانِيِّ– ودَار الكِتَابِ المِصْرِيِّ– ومَكْتبة الإسْكَنْدَرِيَّة، سنة ٢٠١١م .

[٧٩]– السِّيرَةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيحَةُ : د. أكرم ضِياء العُمَري، ٤٠٧/٢.

[٨٠]– صَحيحُ مُسلِم : كِتَابُ الجِهادِ والسِّيَرِ، بَابُ جواز الإغَارَةِ عَلَىَ الكُفَّارِ الَّذين بَلَغَتهُم دَعوَةُ الإسْلامِ مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ الإعْلامِ بِالإغَارَةِ ،١٣٥٦/٣، رقم ١٧٣٠.

[٨١]– السِّيرَةُ النَّبَويَّةُ : أبومُحَمَّد جَمَال الدِّين عبد المَلِك بن هِشام بن أيوب الحميري المعافري(ت ٢١٣هـ)، ٢٩٠/٢، تَحْقِيق مُصْطَفَى السَّقَّا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشَّلبي، ط. مُصْطَفَى البَابي الحَلَبي، مصر، ط٢، سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

[٨٢]– هُناكَ مِنَ العُلَماءِ مَنْ تَوسَّعَ في تَفنيدِ حُجَجِ المنْكرين لِلمُعْجِزاتِ النَّبَويَّة. وَقَدْ اجْتَهَدَ أمْثَالُ هؤلاء مِنَ المحقِّقين في دَحْضِ حُجَجِ مَنْ حَاوَ لَوا التَّشكيكَ في صِحَّةِ تِلْكَ المعجِزاتِ بِدَعْوَى ضَرورَةِ إعْمَالِ العَقْلِ في أُمُورِ الشَّريعَةِ وَعَدَمِ اسْتِثْنَاءِ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ– مِنَ الخُروجِ عَلَىَ المأْلوفِ مِنْ قُدْرَاتِ البَشَرِ وَإمْكَانَاتِهِم. وَكَانَ مِنْ هَؤلاءِ المحَقِّقين الدُّكتور فَهْد الرُّوميُّ في كِتَابِهِ (مَنهَجُ المدرَسَةُ العَقلِيَّةُ الحَديثَةُ في التَّفسير). انظر ص٥٤٥– ٥٩٥.

[٨٣]– انظر تَفْسيرُ القُرآنِ الحَكيم= تَفْسيرُ المنَار : مُحَمَّد رشيد بن عَلِي رِضا بن مُحَمَّد شَمْس الدِّين بن مُحَمَّد بهاء الدِّين بن منلا عَلِي خَليفَة القَلَموني الحُسَيْني (ت: ١٣٥٤هـ)، ١٢٨/١١ ط. مَطْبعة المنار، مصر، ط١، سنة ١٣٤٩هـ

[٨٤]– سُورَةُ المؤْمِنين : آية ٧١ .

[٨٥]– مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ : إتيين دينيه، وسُلَيْمان إبراهيم، ص٦٣، تَحْقِيق د. عبد الحليم محمود ومُحَمَّد عبد الحليم محمود، ط. مكتبة نَهْضَة مصر، القاهرة ، ط٢، سنة ١٩٥٨م .

[٨٦]– سُورَةُ الإسْراءِ : آية ٩٣.

[٨٧]– التَّاريخُ السِّياسيُّ للدَّوْلَةِ العَرَبِيَّةِ– عُصورُ الجَاهِلِيَّة والنُّبُوَّةِ والخُلَفَاءِ الرَّاشدين : د. عَبْد المنْعِم مَاجِد، ١٠١/١، ط. مَكْتَبَة الأنْجلوالمِصْرِيَّة، القاهرة ، ط٧، سنة ١٩٨٢م.

[٨٨]– حَياةُ مُحَمَّد : د. مُحَمَّد حُسَيْن هِيكل، ص٦.

[٨٩]– انظر مَنْهَجُ المدْرَسَةِ العَقْلِيَّةِ الحَديثةِ في التَّفسير : د. فَهد بن عَبد الرَّحْمَن بن سُليمان الرُّومي، ص ٥٥٨، ط. مُؤسَّسَة الرِّسالة، بَيْرُوت، ط٢، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، نَقلاً عَنْ مِجلَّةِ المنارِ، م ٣٤، ٧٩٣/١٠ .

[٩٠]– انظر فِقْهُ السِّيرةِ : د. مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي، ص١١.

[٩١]– فَلْسَفَةُ تَاريخِ مُحَمَّد صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم : مُحَمَّد جميل بيهَم، ص٢٢٥، تقديم د. حَسَّان حَلاق، ط. الدَّار الجَامِعِيَّة، بَيْرُوت، سنة ١٩٥٧م.

[٩٢]– سُورَةُ المائِدَة : آية ٦٧.

[٩٣]– فَلْسَفَةُ تَاريخِ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم : مُحَمَّد جميل بيهم، ص ١٩٨.

٩٤– المرْجِعُ السَّابِقُ: ص ١٩٩ .

[٩٥]– نَفْسُه : ص ١٩٩.

[٩٦]– عَلَى هَامِشِ السِّيَرَة : د. طَهَ حُسَيْن، ٢٣٨/٣، ط. دار المعَارِف، مصر، ط٢٣، رقم الإيداع بدار الكتب المصرية (١٩٩٣/١١٢٥٥م).

[٩٧]– انظر سِيرَةُ الرَّسول : مُحَمَّد عَزَّة دَروزَة،٢٣٠/١.

[٩٨]– سُورَةُ الإسْرَاء : آية ٥٩.

[٩٩]– عَبْقَرِيَّةُ مُحَمَّد صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ : مَحْمود عَبَّاس العَقَّاد، ص٢٨، ط. المكْتَبَة العَصْرِيَّة، بَيْرُوت، سنة ١٩٨٠م.

[١٠٠]– الفِكْرُ الإسْلامِيُّ المعَاصِرُ– دِرَاسَةٌ وتَقْويم: غازي التُّوبَة، ص١٤٥ بِتَصَرُّفٍ يَسير، ط. دار القَلَم ، بَيْرُوت، ط٣، سنة ١٩٧٥م .

[١٠١]– مَوقِفُ العَقْلِ والعِلْم : مُصْطَفَى صَبْري، ١١/٤، وما بعدها.

[١٠٢]– سُورَةُ الفيل : آيات ١– ٥.

[١٠٣]– الأعْمَالُ الكَامِلَةُ للإمامِ مُحَمَّد عَبْدُه : جَمْع وتَحْقِيق مُحَمَّد عِمارة، ٥٢٨/٥–٥٢٩.

[١٠٤]– انظر مَنْهَج المدْرَسَةِ العَقْلِيَّةِ الحَديثَةِ في التَّفسير: د. فَهْد الرُّومي، ص٧٢٤– ٧٢٥ .

[١٠٥]– انظرالمرجع السابق : ص٧٢٦ .

[١٠٦]– انظر التَفْسيرُ والمفَسِّرون: مُحَمَّد حُسَيْن الذَّهبي، ط. مكتبة وَهْبة، القَاهِرَة، ٤١٧/٢، ط ٨، سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣ م.

[١٠٧]– البَيانُ القُرآنيُّ والطَّير الأبابيل : د. مُحَمَّد رَجَبْ البَيُّومي، مَقالٌ في مَجَلَّةِ الأزْهرِ، العدد٦٢، سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ، ص١١٥ .

[١٠٨]– تَفْسِيرُ المرَاغي : أَحْمَد بن مُصْطَفَى المرَاغي (ت:١٣٧١هـ)، ٣٠/ ٢٤٣، ط. مُصْطَفَى البَابى الحَلَبي، مصر، ط١، سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م .

[١٠٩]– حَياةُ مُحَمَّد : د. مُحَمَّد حُسَيْن هِيكل، ص ٧٤– ٧٥ .

[١١٠]– صَحيحُ مُسْلِم : كِتَابُ الإيمَان، بَابُ الإسْراءِ بِرَسولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، ١٤٧/١، رقم ٢٦١.

[١١١]– السِّيرةُ النَّبَويَّةُ بَيْنَ الخَيَالِ وَالتَّاريخِ الشَّعبي: نبيلة إبراهيم سالم، مقال بِمَجَلَّةِ عَالَمِ الفِكْرِ، م١٢، العدد٤، سنة ١٩٨٢م، ص٣٦٧–٣٦٨. وهَذَا الكَلامُ قَالَهُ طَهَ حُسَيْن رَدًّا عَلَى أَحَدِ الوزَرَاءِ المِصْرِيينَ السَّابِقِينِ؛ والذي وَضَعَ جَائِزَةً مَالِيَّةً لِمَنْ يفوز بِعَمَلِ سِيرَةٍ مُبَسَّطَةٍ خَالِيَةٍ مِنَ الخُرافاتِ والأَكاذيبِ التي وُضِعَتْ في سِيرَةِ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ– والتي حُشِيَتْ بِها كُتُبُ السِّيرَةِ المعروفَةِ بـ (المَوالِد). تِلْكَ الدَّعْوَةُ التي قوبِلَتْ بالتَّرحيبِ مِنَ الهَيْئاتِ العِلْمِيَّةِ والأَدَبِيَّة، ولَمْ تَلْقَ تِلْكَ الدَّعْوَةُ مُعَارَضَةً سِوَى مِنْ طَهَ حُسَيْن؛ والذي أَخَذَ يَرُدُّ عَلَى الوزيرِ عَلَى صَفَحاتِ الجَرَائِدِ سنة ١٩٢٤م بِمَا تَضَمَّنَ دَعْوَةً صَرِيحَةً للتَّلفيقِ وحَشْوِ كُتُبِ السِّيرَةِ بِما أَقَرَّ هو – نَفْسُهُ– بِعَدَمِ صِحَّتِهِ . انظر طَهَ حُسَيْن في ميزانِ العُلَمَاءِ والأُدَبَاء : مَحْمود مَهْدي الإسْتَانْبولِّي، ص٢٣٦، الحاشية، ط. المَكْتَب الإسْلامي، بَيْرُوت، ط١، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

[١١٢]– حَياةُ مُحَمَّد : د. مُحَمَّد حُسَيْن هِيكل، ص٣٨، وانظر الحديثَ نفسه بِنَصِّهِ ص٨١.

[١١٣]– دِراساتٌ في السِّيرَةِ النَّبَويَّة : د. حُسَيْن مُؤنِس، ص١٩٩–٢٠٠.

[١١٤]– انظر المرجع السَّابق: ص٨٦–٨٧، و٩٧–٩٨ .

[١١٥]– صَحيحُ مُسْلِم : كِتابُ الفَضَائل، بابُ فَضائل النَّبِيِّ وتَسْليمِ الحَجَرِ عَلَيهِ قَبل النُّبوَّة، ١٧٨٢/٤، رقم ٢٢٧٧.

[١١٦]– مُحَاضَرَات في تَاريخِ الأُمَمِ الإسْلامِيَّةِ : مُحَمَّد بن عفيفي الباجوري، المعْروف بالشَّيخِ الخُضَرِيِّ (ت:١٣٤٥هـ)، ٩٠/١–٩١، ط. مَطْبَعَة الاستقامة، القَاهِرَة ، ط٧، سنة ١٣٧٦هـ .

[١١٧]– نورُ اليَقينِ في سِيرَةِ سَيِّدِ المرْسَلين : مُحَمَّد بن عفيفي البَاجوري، المعروف بالشَّيْخِ الخُضَرِيِّ (ت:١٣٤٥هـ)، ص٦٣، ط. دار الفَيْحاء، دِمَشق، ط٢، سنة ١٤٢٥هـ .

[١١٨]– المرجع السابق: ص٢٠ .

[١١٩]– انظر دِراساتٌ في السِّيرَةِ النَّبويَّة : مُحَمَّد سُرور بن نايف، ص٢٨١.

١٢٠ – سُورَةُ النَّجم : آية ١٧ .

[١٢١]– الشِّفا : القاضي عيَّاض، ١٨٩/١.

[١٢٢]– سُورَةُ الإسراء : آية ١.

[١٢٣]– السِّيرةُ النَّبويَّةُ (مِنَ البِدايَةِ والنِّهايَةِ): الحَافِظُ أبوالفِداء إسماعيل بن عُمر بن كَثير القُرَشي الدِّمشقي(ت:٧٧٤هـ)، ١٠٤/٢، تَحْقِيق مُصْطَفَى عبد الواحد، ط. دار المعرِفَة، بَيْرُوت – لبنان، سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦م .

[١٢٤]– حَياةُ مُحَمَّد : د. مُحَمَّد حُسَيْن هِيكل، ص١٣٠.

[١٢٥]– مَوقُف العَقلِ والعِلْمِ والعَالم: مُصطفى صَبري، ١٩٧/٤، الحاشية ١.

[١٢٦]– انظر المِعْراجُ وصَداهُ في التُّراثِ الإنْساني : أَحْمَد مُختار عبادي، مقال بِمَجَلَّةِ عَالَمِ الفِكْرِ، العدد رقم٤، سنة ١٩٨٢م، م٢٦٤/١٢.

[١٢٧]- سُورَةُ الزُّمَر: آية ٦٧.

[١٢٨]- سُورَةُ القَمَر: آية ١.

[١٢٩]- انظر صَحيحُ البُخَارِيِّ : كِتَابُ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ سُؤال المشْركين أنْ يُرِيهُم النَّبِيُّ آيَةً، فَأَرَاهُم انْشِقاقَ القَمَر،٢٠٦/٤، رقم ٣٦٣٦، وصَحِيحُ مُسلِم : كِتَابُ صِفَات المنافقين، بَابُ انْشقَاق القَمَر، ٢١٥٨/٤، رقم ٢٨٠٠.

[١٣٠]- انظر صَحيحُ البُخَارِيِّ : كِتَابُ مَنَاقِب الأنَصْارِ، بَابُ انْشقَاق القَمَر، ٤٩/٥، رقم ٣٨٦٨، وصحيحُ مُسْلِم: كِتابُ صِفات المنافقين، بَابُ انْشقاق القَمَر، ٢١٥٩/٤، رقم ٢٨٠٢ .

[١٣١]- انظر صَحيحُ البُخَارِيِّ: كِتابُ التَّفسير، تفسير سورة القَمَر، باب (وانْشَق القَمَر)، ١٤٢/٦ رقم ٤٨٦٦، وصَحيحُ مُسْلِم، كَتَابُ صِفَات المنافقين، بَابُ انْشقَاق القَمَر، ٢١٥٩/٤، رقم ٢٨٠٣.

[١٣٢]- انظر صَحيحُ مُسْلِم : كِتابُ صِفات المنافقين، بَابُ انْشقَاق القَمَرِ، ٢١٥٨/٤، رقم ٢٨٠٠، وَسُنَن التِّرمذيِّ: أبوعيسى مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضَّحاك التِّرمذيّ (ت: ٢٧٩هـ)، أبْوابُ التَّفْسِير، بَاب (ومِنْ سُورَةِ القَمَر)، وقال: هَذا حَديثٌ حَسَنٌ، ٣٩٨/٥، رقم ٣٢٨٨، تَحْقِيق وتعليق أَحْمَد مُحَمَّد شاكر(جـ٢،١)، ومُحَمَّد فؤاد عبد الباقي (ج٣)، وإبراهيم عَطْوَة عَوَض (ج٤،٥)، ط. مُصْطَفَى البابي الحَلَبي، مصر، ط٢، سنة١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

[١٣٣]- فَتْحُ الباري : ابن حَجَر العسقلاني، ١٨٥/٧.

[١٣٤]- انظر مَنْهَج المدْرَسَةِ العَقْلِيَّةِ الحَديثَةِ في التَّفسير : د. فَهد الرُّومي، ص٥٨٤، نَقْلاً عَنْ مَجَلَّةِ المنارِ، م٣٠، ج ٢٦٦/٤-٢٦٧ .

[١٣٥]- انظر المرجع السابق: ص٥٨١-٥٨٣، نَقْلاً عَنْ مَجَلَّةِ المَنَارِ، م ٣٠، ج ٢٦٧/٤-٢٦٨ .

[١٣٦]- انظر نفسه: ص٥٨٥ ، نقلاً عَنْ مجلَّةِ المنار: م٣٠، ج ٣٦٣/٥ .

[١٣٧]- انظر نفسه : ص٥٨٥-٥٨٦، نَقْلاً عَنْ مَجَلَّةِ المِنار : م٣٠، ج ٣٦٤/٥-٣٦٨ .

[١٣٨]- تفسيرُ المراغي: ٧٧/٢٧.

١٣٩ - الشِّفا بِتَعريفِ حُقوقِ المصْطَفَى: أبوالفضل القاضي عَيَّاض بن موسى اليحصبي (ت:٥٤٤هـ)، ٢٥٥/١، وَبِذَيْلِهِ الحاشية المسَمَّاة (مُزيلُ الخُفاءِ عَنْ ألفاظِ الشِّفاء)، لأَحْمَد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الشُّمَّنِّ (ت: ٨٧٣هـ)، ط. دار الفِكر، سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

[١٤٠]- المِصْدَرُ السَّابِقُ : ٢٨١/١.

[١٤١]- البِدَايَةُ والنِّهايَةُ : أبوالفِداء إسماعيل بن عُمر بن كَثير القُرَشي البَصْري ثُمَّ الدِّمَشقي (ت:٧٧٤هـ)، ٨٢/٦، تَحْقِيق علي شيري، ط. دار إحْيَاءِ التُّرَاثِ العَرَبِيِّ، ط١، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

[١٤٢]- فَتْحُ القَدير : مُحَمَّد بن عَلِي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليَمني (ت:١٢٥٠هـ)، ١٤٤/٥، ط. دار ابن كثير، ودار الكَلِم الطَّيب، دمشق، بَيْرُوت، ط١، سنة ١٤١٤هـ .

[١٤٣]– نَظمُ المُتَنَاثِرِ مِنَ الحَديثِ المُتَواتِر: أبوعبد الله مُحَمَّد بن أبي الفيض جَعْفر بن إدريس الحُسني الإدريسي الشَّهير بـ الكِتَّانِيِّ (ت: ١٣٤٥هـ)، ص٢١١، تَحْقِيق شرف حجازي، ط. دار الكُتُبِ السَّلَفِيَّة، مصر، ط٢، سنة ١٣٢٨هـ .

[١٤٤١٤٤]– فَتْحُ الباري : ابن حجر العسقلاني، ١٨٥/٧.

[١٤٥]– الشِّفا بِتَعريفِ حُقوقِ المُصْطَفَى: القاضي عيَّاض، ٢٨٣/١.

[١٤٦]– أخْرَجَ حَديثَهُ التِّرمذيُّ في سُنَنِهِ، أبواب التفسير، باب ومن سورة القمر، ٣٩٧/٥، رقم ٣٢٨٥، وقال: هذا حَديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ، وأخْرَجَهُ البَيْهَقيُّ، أبوبكر أَحْمَد بن الحُسَيْن بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخُراساني في: دَلائلُ النُّبُوَّة ومَعْرِفَةُ أَحْوال صَاحِبِ الشَّريعَة: ٢٦٨/٢، تَحْقِيق د.عبد المعْطِي قَلْعَجِي، ط. دار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، ودار الرَّيَّان لِلتُّراثِ، ط١، سنة ١٤٠٥هـ .

[١٤٧]– أخَرْجَ حَديثَهُ ابن أبي شيبة، أبوبكر عبد الله بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عُثمان بن خواستي العَبْسِي (ت:٢٣٥هـ) في: المصَنَّفُ في الأحاديثِ والآثارِ، ٤٥٠/١، تَحْقِيق كمال يوسف الحوت، ط. مكتبة الرُّشْد، الرِّياض، ط١، سنة ١٤٠٩هـ، والطَّبريُّ، أبوجعفر مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي(ت: ٣١٠هـ) في: جَامِعُ البَيانِ في تأويل القرآن، ٥٦٨/٢٢، تَحْقِيق أَحْمَد مُحَمَّد شاكر، ط. مُؤسَّسة الرِّسالة، بَيْرُوت، ط ١، سنة١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

[١٤٨]– انظر فَتْح البَاري : ابن حَجَر، ١٨٥/٧.

[١٤٩]– سُورَةُ القَمَر : آية ١.

[١٥٠]– انظر سِيَرةُ الرَّسولِ : مُحَمَّد عَزَّة دَروزَة ، ٢٢٦/١، وما بعدها.

[١٥١]– صَحيحُ البُخاري : كِتابُ مَناقِبِ الأنصارِ، باب انْشِقاقِ القِمَرِ،٤٩/٥، رقم ٣٨٦٨.

[١٥٢]– فَتْحُ البَاري : ابن حجر، ١٨٥/٧.

[١٥٣]– سُورَةُ القَمَر: آية ٢.

[١٥٤]– فَتْحُ الباري : ابن حَجَر العَسْقَلاني، ١٨٦/٧.

[١٥٥]– فَتْحُ القدير : الشَّوكانيُّ، ١٤٥/٥.

[١٥٦]– مَوقِفُ العَقْلُ والعِلْمُ والعَالِمُ : مُصْطَفَى صَبْري، ١٧٠/٤-١٧١.

[١٥٧]– انظر مُحَمَّد رسول الحُرِّيَّة : عبد الرَّحمن الشرْقَأو ي، مُقَدِّمَةُ الكِتابِ، ص٩—١٢، ط. دار الشُّرُوق، القَاهِرَةُ– بَيْرُوت، ط١، سنة ١٤٠١هـ/١٩٩٠م .

١٥٨– سُورَةُ الكَهْفِ : آية ١١٠ .

[١٥٩]– مُحَمَّد رَسولُ الحُرِّيَّة : عَبْدُالرَّحْمَن الشَّرْقاوي، ص١٢٩ .

[١٦٠]– سُورَةُ الأنْفالِ : آية ٣٠.

[١٦١]– مُحَمَّد رَسولُ الحُرِّيَّة : عَبْدُالرَّحْمَنُ الشَّرقاوْي، ص١٣١.

[١٦٢]– حَياةُ مُحَمَّد : د. مُحَمَّد حُسَيْن هِيكل، ص١٤٤.

[١٦٣]- صَحيحُ البُخاريِّ : كِتابُ مناقِبِ الأنْصَارِ، باب هِجْرَة النَّبِيِّ- صَلَّىَ اللهُ عَلَيهِ وَسلَّمَ- وأصْحَابِهِ إلَى المدِينَةِ، ٦٠/٥، رقم ٣٩٠٦.

***** قَائِمَةُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ**

١- الإحْكامُ في أُصولِ الأَحْكَام: عَلي بن أَحْمَد بن سَعيد بن حَزْمٍ الأَنْدَلُسِيِّ القُرْطُبِيِّ الظَّاهِرِيِّ(ت: ٤٥٦هـ)، تَحْقِيق أَحْمَد مُحَمَّد شاكر، تقديم د. إحسان عَبَّاس، ط. دار الآفَاقِ الجَديدةِ، بَيْرُوت، ط٢، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٢- أُصُولُ الحَدِيث- عُلومُهُ وَمُصْطَلَحُهُ: مُحَمَّد عَجَّاج بن مُحَمَّد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، ط. دار الفِكْر، ط٣، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

٣- أضْواءُ البَيانِ في إيضَاحِ القُرْآنِ بِالقُرْآنِ: مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المُخْتَار بن عَبد القادر الجكني الشَّنْقيطي(ت:١٣٩٣هـ)،ط.دار الفِكْرِ لِلطِّبَاعَةِ والنَّشْرِ والتَّوزيعِ، بَيْرُوت، لبنان، سنة١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٤- الأعْمَالُ الكَامِلَةُ للإمامِ الشَّيْخِ مُحَمَّد عَبْدُه : تَحْقِيق وتَقْديم د. مُحَمَّد عِمَارة،ط. دار الشُّروق، القَاهِرَة ، ط١، سنة ١٩٩٣م .

٥- البِدَايَةُ والنِّهايَةُ: أبوالفِداء إسماعيل بن عُمر بن كَثيرٍ القُرَشِيِّ البَصْرِيِّ، ثُمَّ الدِّمَشْقِيِّ(ت:٧٧٤هـ)، تَحْقِيق علي شيري، ط. دار إحْيَاءِ التُّراثِ العَرَبِيِّ، ط١، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٦- التَّاريخُ السِّياسيُّ للدَّوْلَةِ العَرَبيَّةِ – عُصورُ الجَاهِلِيَّة والنُّبُوَّةِ والخُلَفَاءِ الرَّاشدين : د. عَبْد المُنْعِم مَاجِد، ط. مَكْتَبَة الأنجلوالمِصْرِيَّة، القاهرة، ط٧، سنة ١٩٨٢م .

٧- تَأْوِيلُ مُخْتَلَفِ الحَديث: أبومُحَمَّد عَبْدُ اللهِ بن مُسْلِم بن قُتَيْبَة الدِّينوري(ت:٢٧٦هـ)، ط. المَكْتَب الإسْلامي- مُؤَسَّسَة الإشْراقِ، بَيْرُوت، ط٢، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .

٨- تَفْسيرُ القُرآنِ الحَكيم= تَفْسيرُ المَنَار: مُحَمَّد رشيد بن عَلِي رِضا بن مُحَمَّد شَمْس الدِّين بن مُحَمَّد بهاء الدِّين بن منلا عَلِي خَليفَة القَلَموني الحُسَيْني(ت:١٣٥٤هـ)، ط.مَطْبعة المنار، مصر، ط١، سنة ١٣٤٩هـ.

٩- تَفْسيرُ القُرْآنِ العَظيمِ: أبوالفِداء إسماعيل بن عُمَر بن كَثير القُرَشي البَصْري،ثُمَّ الدِّمشقي(ت:٧٧٤هـ)، تَحْقِيق سامي بن مُحَمَّد سلامة، ط. دار طيبة للنَّشرِ والتَّوزيع، ط٢، سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

١٠- تَفْسِيرُ المَرَاغي: أَحْمَد بن مُصْطَفَى المَرَاغي(ت:١٣٧١هـ)، ط. مُصْطَفَى البَابى الحَلَبي،مصر، ط١، سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

١١- التَفْسيرُ والمُفَسِّرون: مُحَمَّد حُسَيْن الذَّهبى،ط. مكتبة وّهْبة، القَاهِرَة، ط٨، سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٢- تَقْريبُ التَّهذيبِ : أبوالفضل أَحْمَد بن عَلِي بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن حَجَر العَسْقَلانِيّ(ت:٨٥٢هـ)، تَحْقِيق مُحَمَّد عَوَّامة، ط. دار الرَّشيد، حلب، سوريا، ط١، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

١٣- تَهْذيبُ التَّهذيب:أبوالفَضْل أَحْمَد بن عَلِي بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن حَجَر العَسْقَلانِيّ (ت:٨٥٢هـ)، ط. مطبعة دَائرة المَعارِف النِّظاميَّة، الهند، ط١، سنة ١٣٢٦هـ .

١٤- جَامِعُ البَيانِ في تَأْوِيلِ القُرْآنِ: أبوجعفر مُحَمَّد بن جَريرِ بن يَزيدِ بن كَثيرِ بن غَالِبٍ الآمِلِيِّ الطَّبَريِّ (ت:٣١٠هـ)، تَحْقِيق أَحْمَد مُحَمَّد شاكر، ط. مُؤسَّسة الرِّسالة، بَيْرُوت، ط١، سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

١٥- الجَامِعُ لأَخْلاقِ الرَّأْوِي وَآدابِ السَّامِعِ : أبوبكر أَحْمَد بن علي بن ثابت بن أَحْمَد بن مهدي الخَطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ)، تَحْقِيق د.محمود الطَّحَّان، ط. مكتبة المَعَارِفِ، الرِّياض، سنة ١٤٠٣هـ .

١٦- الجامِعُ المُسنَدُ الصَّحيحُ المُختَصَرُ مِن أُمُورِ رسولِ اللهِ- صلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم- وسُنَنِهِ وأيَّامِهِ: أبوعبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة بن بردزبَّة البُخارى الجَعفى(ت:٢٥٦هـ)، تَحْقِيق مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، ط. دار طوق النجاة، ط١، سنة ١٤٢٢هـ .

١٧- حَياةُ مُحَمَّد: د.مُحَمَّد حُسَيْن هِيكل، ط. مكتبة النَّهْضَة المِصْرِيَّة، القَاهِرَة، ط١٣، سنة ١٩٦٨م .

١٨- دِراسَاتٌ في السِّيرَةِ النَّبَويَّة: د.حُسَيْن مُؤنِس، ط.الزَّهْرَاء للإعْلامِ العَرَبيِّ، القَاهِرَة، ط٢،سنة ١٩٨٥م.

١٩- دِرَاسَاتٌ في السِّيرَةِ النَّبَويَّة: مُحَمَّد سُرور بن نايف زين العابدين، ط.مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط١، سنة ١٩٤٨م.

٢٠- دَلائِلُ النُّبُوَّةِ ومَعْرِفَةُ أَحْوال صَاحِبِ الشَّريعَةِ: أبوبكر أَحْمَد بن الحُسَيْن بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخُرَاسَانِيِّ البَيْهَقي(ت:٤٥٨هـ)، تَحْقِيق د.عبد المُعْطِي قَلْعَجِي، ط. دار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، ودار الرَّيَّان لِلتُّراثِ، ط١، سنة ١٤٠٥هـ.

٢١- الرِّسَالَةُ: الإمام أبوعبد الله مُحَمَّد بن إدريسٍ الشَّافِعِيِّ(ت:٢٠٤هـ)، تَحْقِيق وشرح أَحْمَد مُحَمَّد شاكر، ط.مصطفى البابي الحلبي، ط١، سنة ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م .

٢٢- الرِّسالة المُحَمَّديَّة: السَّيْد سُليمان النَّدوي الحُسَيْني(ت:١٣٧٣هـ)، ط.دار ابن كثير، دمشق، ط١، سنة ١٤٢٣هـ .

٢٣- السُّنَّةُ النَّبَويَّةُ بَيْنَ أَهْلِ الفِقْهِ وأهل الحَديثِ: مُحَمَّد الغزالي، تقديم نصر الدين شريف باعطوة، ط.دار الكِتَابِ اللبْنَانِيِّ- ودار الكِتَابِ المَصْرِيِّ- ومكتبة الإسكندرية، سنة ٢٠١١م .

٢٤- السُّنَّةُ ومَكَانَتُهَا في التَّشْريعِ الإسْلامِيِّ: مُصْطَفَى بن حُسني السِّبَاعي(ت:١٣٨٤هـ)، ط. المَكْتَب الإسلامي، بَيْرُوت، ط٢، سنة ١٣٩٨هـ/١٩٩٠م .

٢٥- سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ: أبوعِيسَى مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضَّحاك التِّرْمِذِي(ت: ٢٧٩هـ)، تَحْقِيق وتعليق أَحْمَد مُحَمَّد شاكر (جـ١،٢)، ومُحَمَّد فؤاد عبد الباقي (جـ٣)، وإبراهيم عَطْوَة عَوَض (جـ ٤،٥)، ط. مُصْطَفَى البابي الحَلَبي، مصر، ط٢، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

٢٦- سِيَرُ أعلامِ النُّبلاء: شَمْسُ الدِّين أبوعبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثمان بن قَايْماز الذَّهَبي(ت: ٧٤٨هـ)، تَحْقِيق الشيخ شُعيب الأرناؤوط وآخرون، ط. مؤسَّسة الرِّسالة، ط٣، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٢٧- سِيَرَةُ الرَّسول- صُورٌ مُقْتَبَسَةٌ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ: مُحَمَّد عَزَّة دَروزَة، ط. مَطْبَعة الاسْتِقامة،القاهرة،ط١ سنة ١٩٤٨م.

٢٨- سِيرَةُ المُصْطَفَ- نَظْرَةٌ جَديدَةٌ: هاشِم مَعْروف الحُسني، ط. دار القلم، بَيْرُوت، ط١،سنة ١٩٧٥م.

٢٩- السِّيرَةُ النَّبَويَّةُ: أبومُحَمَّد جَمَال الدِّين عبد المَلِك بن هِشام بن أيوب الحميري المعافري(ت:٢١٣هـ)، تَحْقِيق مُصْطَفَى السَّقَا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشَّلبي، ط. مُصْطَفَى البَابي الحَلَبي،مصر، ط٢، سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م .

٣٠- السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحاولةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ في نَقْدِ روَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَويَّةِ: د. أكْرَم ضِياء العُمَرِي، ط. مَرْكَز بُحوث السُّنَّةِ والسِّيرَةِ، جَامِعَة قَطَر، سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م .

٣١- السِّيَرَةُ النَّبَويَّةُ (مِنَ البِدَايَةِ والنِّهايَةِ لابن كَثير): أبوالفداء إسماعيل بن عُمر بن كَثير القُرَشي الدِّمَشقي (ت:٧٧٤هـ)، تَحْقِيق مصطفى عبد الواحد، ط. دار المَعْرِفَة للطِّبَاعَةِ والنَّشْرِ والتَّوزيع، بَيْرُوت، لبنان، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م .

٣٢- الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ المُصْطَفَى: أبوالفَضْل القاضي عَيَّاض بن موسى اليَحْصُبى(ت:٥٤٤هـ)، وبِذَيلِهِ الحَاشية المُسَمَّاة مُزيل الخَفاء عَنْ ألفاظِ الشِّفاء، لأَحْمَد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الشُّمنى(ت:٨٧٣هـ)، ط. دار الفِكْرِ، بَيْرُوت، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .

٣٣- الضُّعَفَاءُ الصَّغيرُ: أبوعبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغِيرَة البُخاري(ت:٢٥٦هـ)، تَحْقِيق محمود إبراهيم زايد، ط. دار الوعي، حَلَب، ط١، سنة ١٣٩٦هـ .

٣٤- الضُّعَفَاءُ والمَتْروكون: أبوعبد الرَّحْمَن أَحْمَد بن شُعَيْب بن عَلَي الخُرَاساني النَّسَائي(ت:٣٠٣هـ)، تَحْقِيق محمود إبراهيم زايد، ط. دار الوَعْي، حَلَب، ط١، سنة ١٣٩٦هـ .

٣٥- ضَعيفُ الجِامع الصَّغير وزِيادَته: أبوعبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني(ت:١٤٢٠هـ)، ط. المكتب الإسلامي، بَيْرُوت، (د.ت) .

٣٦- طَهَ حُسَيْن في ميزانِ العُلَمَاءِ والأُدَبَاء: مَحْمود مَهْدي الإسْتَانْبولِّي، ط. المَكْتَب الإسْلامي، بَيْرُوت، ط١، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٧- عَبْقَرِيَّةُ مُحَمَّد صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: مَحْمود عَبَّاس العَقَّاد، ط. المَكْتَبَة العَصْريَّة، بَيْرُوت،سنة ١٩٨٠م.

٣٨- عَلَى هَامِشِ السِّيَرَة: د. طَهَ حُسَيْن، ط. دار المَعَارِف، مصر، ط٢٣، رقم الإيداع بِدَارِ الكُتُبِ المِصْرِيَّةِ (١١٢٥٥/ ١٩٩٣م) .

٣٩- عُيونُ الأَثَرِ في فُنونِ المَغازي والشَّمَائلِ والسِّيَر: فَتْحُ الدِّين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد، ابن سيد النَّاس، اليَعْمُري الرَّبعي(ت:٧٣٤هـ)، تعليق إبراهيم مُحَمَّد رمضان، ط. دار القَلَم، بَيْرُوت، ط١، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

٤٠- فَتْحُ البَارِي- شَرْحُ صَحِيحِ البُخاري: أبوالفضل أَحْمَد بن عَلِي بن حَجَر العَسْقلانِيِّ الشَّافِعِيِّ(ت:٨٥٢هـ)، رَقَّمَ كُتُبَهُ وأبْوَابَهُ وأحَاديثَهُ مُحَمَّد فؤاد عَبْد الباقي ط. دار المَعْرِفة، بَيْرُوت، سنة ١٣٧٩هـ .

٤١- فَتْحُ القَدِيرِ: مُحَمَّد بن عَلِي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليَمَني(ت:١٢٥٠هـ)، ط. دار ابن كثير، ودار الكَلِم الطَّيِّب، دمشق، بَيْرُوت، ط١، سنة ١٤١٤هـ .

٤٢- فِقْهُ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ مَعَ مُوَجَزٍ لِتَاريخِ الخِلافَةِ الرَّاشِدَة: د. مُحَمَّد سَعيد رَمَضان البوطي، ط. دار الفِكْرِ، دِمَشق، ط٢٥، سَنَة ١٤٢٦هـ .

٤٣- الفِكْرُ الإسْلاميُّ المُعَاصِرُ- دِرَاسَةٌ وتَقْويم: غازي التُّوبَة، ط. دار القَلَم، بَيْرُوت،ط٣، سنة ١٩٧٥م.

٤٤- فَلْسَفَةُ تَاريخِ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مُحَمَّد جميل بيهَم، تقديم د. حَسَّان حَلاق، ط. الدَّار الجَامِعِيَّة، بَيْرُوت، سنة ١٩٥٧م .

٤٥- كُبْرَى اليَقِينِيَّات الكَوْنِيَّة- وُجودُ الخَالِقِ ووظَيفَةِ المَخْلوقِ: د. مُحَمَّد سَعيد رَمَضَان البُوطي، ط. دار الفِكْرِ المُعَاصِرِ، بَيْرُوت- دمشق، ط ٨، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

٤٦- المُجْتَمَعُ المَدَنِيُّ في عَهْدِ النُّبُوَّةِ، خَصَائِصُهُ وتَنْظيمَاتُهُ الأوْلَى: د. أكْرَمْ ضِياء العُمَري، ط. المَجْلِس العِلْمي بِالمَدينَةِ المُنَوَّرَةِ ، ط١، سنة ١٩٨٣م .

٤٧- مُحَاضَرَاتٌ في تَاريخِ الأُمَمِ الإسْلامِيَّةِ: مُحَمَّد بن عفيفي الباجوري، المَعْروف بالشَّيخِ الخُضَرِيِّ (ت: ١٣٤٥هـ)، ط. مَطْبَعَة الاسْتِقَامَةِ، القَاهِرَة، ط٧، سنة ١٣٧٦هـ .

٤٨- مُحَمَّد رسول الحُرِّيَّة : عبد الرَّحمن الشَّرْقَأوْيّ، ط. دار الشروق، القاهرة- بَيْرُوت، ط١، سنة ١٤٠١ هـ/١٩٩٠م .

٤٩- مُحَمَّد رَسولُ الله: إتيين دينيه، وسُلَيْمان إبراهيم، تَحْقِيق د. عبد الحليم محمود، ومُحَمَّد عبد الحليم محمود، ط. مكتبة نَهْضَة مصر، القاهرة ، ط٢، سنة ١٩٥٨م .

٥٠- المُسنَدُ الصَّحيحُ المُختَصَرُ بِنَقلِ العَدلِ عَنْ العَدلِ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : مُسلم بن الحَجَّاج أبوالحسن القُشيري النَّيْسَابُوريّ(ت:٢٦١هـ)، تَحْقِيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقى، ط. دار إحياء التُّرَاثِ العَرَبِيِّ، بَيْرُوت، سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م .

٥١- مَصَادِرُ السِّيرَةُ النَّبَويَّةِ وتَقْويمها: د.فاروق حَمَادَة،ط.دار القَلَم، دِمَشْق،ط٣، سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥٢- المُصَنَّفُ في الأحَادِيثِ والآثَارِ : أبوبكر عبد الله بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عُثْمان بن خواستي العَبْسي، المعروف بـ ابْنِ أبي شَيْبَة(ت:٢٣٥هـ)، تَحْقِيق كمال يوسف الحوت، ط. مكتبة الرُّشْدِ، الرِّيَاض، ط١، سنة ١٤٠٩هـ .

٥٣- المُعْجَمُ الكَبِيرُ: أبوالقَاسِم سُلَيْمان بن أَحْمَد بن أيوب بن مطير اللخْمِيّ الشَّاميّ الطَّبرانيّ(٢٦٠-٣٦٠هـ)،تَحْقِيق حمدى عبد المجيد سَلَفِى،ط.مَكْتَبَة العُلومِ والحِكَمِ،الموصِل، ط٢، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٥٤- مَنْهَجُ المَدْرَسَةِ العَقْلِيَّةِ الحَديثَةِ في التَّفسير: د. فَهد بن عَبد الرَّحْمَن بن سُليمان الرُّومي، ط. مُؤسَّسَة الرِّسالة، بَيْرُوت، ط٢، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٥٥- مَوقِفُ العَقْلِ والعِلْمِ والعَالِمِ مِنْ رَبِّ العَالمين وعِبَادَةِ المُرْسَلين: مُصْطَفَى صَبْري، ط. دارُ إحياءِ التُّراثِ العِربيِّ، بَيْرُوت، ط٢، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٥٦ - نَظْمُ المُتَنَاثِرِ مِنَ الحَديثِ المُتَواتِر: أبوعبد الله مُحَمَّد بن أبي الفَيْض جَعْفر بن إدريس الحُسني الإدريسي الشَّهير بـ الكِتَّانيِّ(ت:١٣٤٥هـ)، تَحْقِيق شَرَف حِجازي،ط. دار الكُتُبِ السَّلَفِيَّة، مصر،ط٢، سنة ١٣٢٨هـ .

٥٧- نورُ اليَقينِ في سِيرَةِ سَيِّدِ المُرْسَلين: مُحَمَّد بن عفيفي البَاجوري، المعروف بالشَّيْخِ الخُضَرِيِّ(ت: ١٣٤٥هـ) ، ط. دار الفَيْحاء، دِمَشق، ط٢، سنة ١٤٢٥هـ.
٥٨- الهَجَماتُ المغْرِضَةُ عَلَى التَّاريخِ الإسلاميِّ: المؤلِّف (بالأُرْدِيَّة) د. مُحَمَّد ياسين مظهر صِدِّيقي، ترجمة د. سمير عبد الحميد إبراهيم، ط. دار الصَّحْوة، القاهرة، ط١، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

** **المجلات والندوات :**

١- السُّنَّةُ النَّبَويَّةُ ومَنْهَجُهَا في بِنَاءِ المَعْرِفَةِ والحَضَارَةِ: أَعْمالُ نَدْوةٍ صَدَرَتْ عَنْ المجْمَع المَلَكِيِّ لِبُحوثِ الحَضَارَةِ الإسْلامِيَّةِ، والمَعْهَدِ العَالَمِيِّ لِلفِكْرِ الإسْلامِيِّ، عَمَّان، الأُرْدُن، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .
٢- مَجَلَّةُ الأزْهر: العَدَدُ ٦٢، سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .
٣- مَجَلَّةُ الشَّريعَةُ والدِّرَاسَاتُ الإسْلامِيَّةُ: السَّنَةُ ١٨، العَدَدُ ٥٥، سَنَةُ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .
٤- مَجَلَّةُ عَالَمِ الفِكْرِ: العَدَدُ ٤، سنة ١٩٨٢م .

The different positions of contemporary writers On the noble Prophet's biography An analytical study

The biography of the Messenger of Allah (peace and blessings of Allaah be upon him) remains the ideal model of true human life in all its dimensions, and the constant and inexhaustible gift of all ages and generations. The biography of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) has received the attention of scholars, both old and new, whether Muslim or non-Muslim, unless the biography of a prophet or a leader takes place. Muslims have mastered the writing of the noble biography of the Prophet, and the classification in its parts, whatever it is; how not! It is the biography of the greatest messenger and the most generous creation of God .

Those who wrote in the Prophet's biography were not the same way; It is noted that the biography of the Prophet in modern times not only written Islamic pens, but also written non-Muslims also, and was between the two teams: fair in the search, and deviant from the way. This difference is due to what the owners believe in every direction and ideas .

This, and the issues that have been presented to the contemporary writings in the biography of the Prophet in this research in three research :

The first was entitled: (questioning the books of the Hadith and the Prophet's biography).

The second was entitled: (denial of the correct ahaadeeth.(

The third is the denial of miracles, questioning, and arbitrariness in their interpretation.

**** Key words: The biography of the Messenger of Allah, the writing of the noble biography of the Prophet, questioning the books of the Hadith and the Prophet's biography, denial of the correct ahaadeeth , the denial of miracles.**